62 T A

مي زيادة بين اديبات العرب

قديما وحديثا

وضع

ـ هبة الوادي ـ

رسالة مقدمة الى دائرة اللغة العربية

في الجامعة الاميركية في بيروت

للحصول على درجة ماجستير في الآداب

ـ حزيران ١٩٥٦ ـ

ـ المحتويـــات ـ

القســـم الاول : الادب النسائي قبل مـــي

الفصل الاول : المراة والشعر في الادب القديم والمولد

المراة والرثاء صفحة ١ ـ ٥

المراة والغزل ٥ ـ ١٤

المراة وسائر الاغراض الشعرية ١٥ ـ ٢٤

الفصل الثاني : المراة والثقافة الادبية قبل النهضة

العناية بالرواية ٢٥ ـ ٢٧

التذوق الادبي ٢٨ ـ ٣٠

قوة العارضة وبلاغة الاداء ٣٠ ـ ٣٣

لمحة عن حالة المراة في عصر الانحطاط ٣٤ ـ ٣٥

الفصل الثالث: المراة في ادب النهضة

انصار المراة في فجر النهضة ٣٥ ـ ٣٩

الشاعرات في عصر النهضة ٣٩ ـ ٤٦

المنشئات في عصر النهضة ٤٦ ـ ٥٠

القسم الثانـي : مـي زيـــادة في الادب العربي

الفصل الاول : مـي في المجتمـــع

مشاهد من حياتها ٥١ ـ ٥٥

اوصافها ومزاجها ٥٦ ـ ٥٨

مي المـــراة ٥٨ ـ ٦٣

مي المثقفـــة ٦٣ ـ ٦٨

مي المحـدثـة ٦٨ ـ ٧١

	مي الملهمة	صفحة ٧١ —	٨٠
	مي المصلحة الاجتماعية	٨٠ —	٨٥
	مي العليلة	٨٥ —	٩٠
الفصل الثاني :	مي في آثارها الادبية		
	مؤلفات مي	٩١ —	٩٢
	نظرة في "ازاهير حلم"	٩٢ —	٩٥
	نظرة في "ظلمات واشعة"	٩٥ —	١٠٢
	نظرة في "باحثة البادية"	١٠٢ —	١١٢
	اسلوب مي	١١٢ —	١١٨
	مي ومختلف الاغراض الادبية	١١٩ —	١٢٣
	مكانة مي في اراء النقاد	١٢٣ —	١٢٧

- تمهيـــــد -

اذا كان الرجل في عصر الانحطاط ، قد حاول الغض من قيمة المرأة ، واعانه على ذلك جهله فان رجل عصر النهضة بوثبته الفكرية وانطلاقه الواعي ، قـد رعـى المرأة حقا ، ونبه الى قيمتها الروحية واحاطها بجو العلم والمعرفة ، حتى ان لقـب الملهمة ، على سماحته لم يـعد يقنع همتها ، وان كونها مصدر وحي لم يعد يلتئم وتفتق امكانيتها ، ففي كليهما من السلبية والاجحاف بحقها قدر كبير.

فكان عليها ان تثبت للرجل ، انها ليست دونه في مرامي الفكر ولا في منازع الشعور ، وانها تجارية لو ارادت مقلدة ومبدعة معا ، ولديها في مضمارها هذا ، مستند يشد ازرها من تاريخ العالم الحضاري يروى اثر المرأة ، في كل خطوة نبيلة دفعـت بالانسانية قدما ، ويعضدها الى ذلك تاريخ الادب العربي بما يقدمه في لوحتـه الرائعة من اسماء الخالدات .

فالادب العربي يفتح مساربه الحافلة للباحث عن الادب النسوى ، ويرحـب به في منافذه السديدة ، وما على الباحث الا ان يختار لنفسه الطريق الذى يشـاء فان يشأ ان يقتفي خطوة المرأة خلال القرون المعهودة ، التي يقسمها التاريخ الى عصور جاهلية واسلامية اموية وعباسية واندلسية ، يجد صوتا اصيلا متجاوبا مع حاجات العصر ، قاصا بعضويـة عن خصائصه ، مشيرا الى احلامه ، وان يشأ سماع صوت المرأة عن طريق الاغراض الادبية التي يقدمها كل عصر ، يجده حنونا دافقا ، خلوا من التكلف يتفجع ويتغزل ويصف ويمدح ويهجو ويحن ، وينوع في بعض مواضيعه ، تنويعا تمليـه عليه الظروف وانامل طبيعته .

ـ موجـز البحـث ـ

تقسم هذه الرسالة الى قسمين :

١ ـ يتناول الاول منهما الادب النسائي قبل مي زيادة

٢ ـ ويتناول الثاني ميا في الادب العربي الحديث

وفي القسم الاول فصول ثلاث :

يعرض الفصل الاول للمراة في الشعر القديم والمولد ، فياتي على الاغراض الادبية التي ولجتها الشاعرة من رثاء وغزل ومدح وحكمة ووصف وهجاء . ففي الرثاء تخاذل حيال الموت والماع الى صفات الفقيد مما يزخربالمعاني النفسية الرفيعة كالجود والصدق والرافة والشجاعة ، والعيب الظاهر في رثاء المراة ، خلوه من الحكمة المستخلصة من عبرة الموت ، وفيه ميزة الادعان للقدر والبر بالتقوى ورض بمشيئة الالـــه .

وفي الغزل عرض لاهم ميزاته لدى المراة ، من ذكر الشمائل المعنوية والصفات المجردة التي تترع قلبها تمجيدا كالهيبة في المحبوب وكالكرم والعفة والحزم ، وابداء لوعة الكتمان ، ومرارة الغيرة والم الحرمان ، ومواراة الشعورعن طريق القسر حينا ، وعن طريق الطبع في اكثر الاحيان ، وما لجات اليه الشاعرة في التعبيرعن ذلك كله ، وما يغلب على الغزل من عفة وتعبيرعن بعض امور الحب التي اقرها علم النفس الحديث .

ومر الشعر النسائي بالحكمة ، كما عرف الانجذاب الرباني في التصوف ، والحنين الى الوطن واذكاء الحماسة ، وتطرق الى الفخر والمدح الذى ترفع فيه عن التذلل وطلب المال ، وكذلك مر بالهجاء الذى لم تقذع فيه المراة ولم تتجن ، ومثلما حفل التاريخ الادبي بشعر الرجل المرتجل الصادر عفو البديهة

نهضت المراة تنادى بحاجتها الى الاصلاح ، وغدا موضوع المراة من الاهمية بحيث شغل افكار الكثيرين من الادباء وعامة الشعب . ثم اخذت المراة في مزاولة العمل الصحفي ، وساهمت في الحركة الادبية فسخرت مواهبها في دفع الحياة الاجتماعية والنهوض بها قدما ، وظهرت عائشة التيمورية وورده اليازجي وباحثة البادية وزينب فواز ، والتزمت الشاعرات مشاكل العصر ، كما اقتحمن الغزل وانشدن المراثي وطرقن الاغراض الاخرى ، وكذلك التزمت المنشئات مشاكل المجتمع في الابحاث النثرية وجارين قالب العصر فاكثرن من السجع والمحسنات البديعية . وقد كان للاديبة ان تضحي بالاتجاه الفني في انتاجها ، فكان ادبها بعيدا عن اظهار خصائص المراة توجيها ملتزما .

والقسم الثاني مؤلف من فصلين :

الفصل الاول : يعرض مي زيادة في المجتمع حيث تترى فيه مشاهد حياتها من طفولة قضت معظمها بين ناصرة فلسطين وقرية عنيطورة في لبنان ، ومن شباب رافقة المجد في ربوع مصر ، ومن كهولة بائسة عاشتها موزعة بين لبنان ومصر ، حيث انتهت حياتها في القاهرة سنة ١٩٤١ . وهناك عرض لاوصافها ومزاجها ولبعض مزايا انوثتها ، وما تهادن في ثقافتها من الوان العلوم ثم ما افتتحت من مجلس ادبي كان له كريم الاثر في توجيه الفكر العربي ، وما كان لذلك المجلس من تاثير في الحياة الادبية مما تعدى زمنه ممتدا الى وقتنا هذا ، وذلك في انتاج الادباء ممن الفوا بوحي الهامها كالرافعي والشميل ويكن جبران ، وما كان بينها وبين اعلام الادباء من علاقة فكرية وروحية . ثم يمر عرض لمي الصلحة الاجتماعية التي التمست اصلاح المراة عن طريق النقد الموجه وتمنت للشرق العربي انتفاضة بعث جديد ، ووضعت خلاصة افكارها الاجتماعية في كتاب " المساواة " . ثم ينتهي الفصل الاول بنظرة في محنة مي .

نهضت المراة تنادى بحاجتها الى الاصلاح ، وغدا موضوع المراة من الاهمية بحيث شغل افكار الكثيرين من الادباء وعامة الشعب . ثم اخذت المراة في مزاولة العمل الصحفي ، وساهمت في الحركة الادبية فسخرت مواهبها في دفع الحياة الاجتماعية والنهوض بها قدما ، وظهرت عائشة التيمورية وورده اليازجي وباحثة البادية وزينب فواز ، والتزمت الشاعرات مشاكل العصر ، كما اقتحمن الغزل وانشدن المراثي وطرقن الاغراض الاخرى ، وكذلك التزمت المنشئات مشاكل المجتمع في الابحاث النثرية وجارين قالب العصر فاكثرن من السجع والمحسنات البديعية . وقد كان للاديبة ان تضحي بالاتجاه الفني في انتاجها ، فكان ادبها بعيدا عن اظهار خصائص المراة توجيها ملتزما .

والقسم الثاني مؤلف من فصلين :

الفصل الاول : يعرض مي زيادة في المجتمع حيث تترى فيه مشاهد حياتها من طفولة قضت معظمها بين ناصرة فلسطين وقرية عنيطورة في لبنان ، ومن شباب رافقة المجد في ربوع مصر ، ومن كهولة بائسة عاشتها موزعة بين لبنان ومصر ، حيث انتهت حياتها في القاهرة سنة ١٩٤١ . وهناك عرض لاوصافها ومزاجها ولبعض مزايا انوثتها ، وما تهادن في ثقافتها من الوان العلوم ثم ما افتتحت من مجلس ادبي كان له كريم الاثر في توجيه الفكر العربي ، وما كان لذلك المجلس من تاثير في الحياة الادبية مما تعدى زمنه ممتدا الى وقتنا هذا ، وذلك في انتاج الادباء ممن الفوا بوحي الهامها كالرافعي والشميل ويكن جبران ، وما كان بينها وبين اعلام الادباء من علاقة فكرية وروحية . ثم يمر عرض لمي الصلحة الاجتماعية التي التمست اصلاح المراة عن طريق النقد الموجه وتمنت للشرق العربي انتفاضة بعث جديد ، ووضعت خلاصة افكارها الاجتماعية في كتاب " الصدا واة " . ثم ينتهي الفصل الاول بنظرة في محنة مي .

حقل بشعر النساء المرتجل ، ولم يخل الشعر النسائي من معالجة الامور الخاصة بالمراة ، كعقوق الابناء والطلاق واماني الشاعرة العذراء في الزوج المنتظر ، وتفاخر الواحدة امام الاخرى وتاهيها بالجمال والكمال ، وكالامومة التي كثيرا ما بزغت في شعر النساء بكل عمق حبها وجلال عاطفتها .

الفصل الثاني : يتناول المراة والثقافة الادبية قبل النهضة ، فيلمع الى العناية برواية الحديث ويذكر بعض شهيرات الراويات كعائشة بنت ابي بكر وميمونة بنت سعد وشهدة الكاتبة ثم رواية الشعر التي بلغت عند المراة منزلة مرموقة ، بحيث كانت تظهر رقي المراة الادبي ، وتجعلها مصدرا وثيقا لنسبة الروايات الادبية ، وتمهد لها الطريق للتذوق الادبي الذى اثمر في نفح المراة روحا نقدية بحيث اتاح لها التمييز بين ما يلقى به اليها من غث الشعر وسمينة ففاضلت بين القصائد واظهرت ما فيها من محاسن بحسب ما بلغته درجة النقد في عصرها . وكانت للمراة يد طولى في قوة الحجة ونصاعة البيان ، تجبه به الكبراء والشعراء فينقادون لها في اظهار حق اوالتماس عذر ، وكانت الصراحة تطبع قولها بالاخلاص وتمنح جراتها استقامة وعفوية ولم تحجم المراة عن وضع الامثال بحيث يستعملها الناس بعدها ، وهكذا كان الادب النسائي صادرا عن طاقة انسانية يلازمه كل ما يلازم تلك الطاقة من تقصير وما يلتمع فيها من قدرة ظل دليلا على ان الادب ينمو في قلب الانسان وفكره ، دون ان يدرك تمييزا بين ذكر وانثى .

الفصل الثالث : لمحة عن حالة المراة في عصر الانحطاط حين اخذت منزلتها بالافول ، فلزمت دارها واجتنبت المشاركة في الحياة الصحيحة وفجعت بطاقتها الروحية وجعلت همها ارضاء الرجل بالتزام الطاعة العمياء . ثم ما قيض من انصار عادلين اخذوا على عاتقهم وجوب ترقيتها كقاسم امين والبستاني والشدياق وجميل بيهم وشوقي وحافظ ، ثم

١٦) الجاحظ . ابوعثمان عمرو بن بحر . البيان والتبيين . شرح السندوبي . المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٣ ج ١

١٧) الحصرى . ابواسحق ابراهم بن علي . زهر الاداب وثمر الالباب . مطبعة داراحياء الكتب العربية . القاهرة ١٩٥٣ج ١

١٨) الخنساء . تماضر بنت عمرو . انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٨٨٨.

١٩) القالي . ابوعلي اسماعيل بن القاسم . الامالي في لغة العرب . مطبعة دارالكتب العربية . القاهرة ١٩٢٦ ج ٢

٢٠) المقرى . ابوالعباس احمد بن محمد . نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . القاهرة . بولاق ١٢٩٧ هج ٢

٢١) الميداني . ابوالفضل احمد . مجمع الامثال . المطبعة الخيرية . مصر ١٣١٠ هج ١ ،ج ٢

المراجع الحديثة :

٢٢) آبر . كرومبي لاسيل . قواعد النقد الادبي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر ١٩٤٤.

٢٣) ارسلان . امين . المرأة وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية . المطبعة الادبية . بيروت ١٨٩٢.

٢٤) باز. جرجي نقولا . اكليل غار لرأس المرأة . مطبعة القديس جاورجيوس . بيروت ١٩١١.

٢٥) البستاني . كرم . النساء العربيات . مكتبة صادر . بيروت . سنة

٢٦) بيهم . محمد جميل . المرأة في التاريخ والشرائع . مطبعة ؟ بيروت ١٩٢١

٢٧) التيمورية . عائشة . حلية الطراز. مطبعة دارالكتاب العربي . القاهرة ١٩٥٢

٢٨) جبر . جميل . مي في حياتها المضطربة . دار بيروت ١٩٥٣

٢٩) جبر . جميل . مي وجبران . مطابع فضول . بيروت ١٩٥٠

٣٠) جبور. جبرائيل . عصر ابن ابي ربيعة . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٣٥ج ١

٣١) الجمالي . حافظ . دروس علم النفس . مطبعة الوقت . حلب ١٩٤٧ج ١

٣٢) خيرت . محمود . المرأة بين الماضي والحاضر. مطبعة الشمس . القاهرة ١٩٢٨

٣٣) دمشقية . جوليا طعمة . المرأة الجديدة . مطبعة طبارة . بيروت ١٩٢٣ . المجلد ٣

٣٤) سكاكيني • وداد • انصاف المرأة • مطبعة الثبات • دمشق ١٩٥٠ •
٣٥) الشايب • احمد • اصول النقد الادبي • مطبعة الاعتماد • مصر ١٩٤٢
٣٦) شيخو • الاب لويس • شرح ديوان الخنساء • المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٦
٣٧) صائغ سلمى • النسمات • المطبعة الادبية • بيروت ١٩٣٣
٣٨) صروف • فؤاد • على الطريق • مطبعة قلفاط • القاهرة ١٩٥٤
٣٩) طبانة • بدوى احمد • ادب المرأة العراقية • دار العالم العربي • القاهرة ١٩٤٨
٤٠) العريان • محمد سعيد • حياة الرافعي • مطبعة الاستقامة • القاهرة ١٩٤٧
٤١) عساف • خليل • المرأة عموما والشرقية خصوصا • مطبعة الهدى • نيويورك ١٩٠٤
٤٢) عفيفي • عبد الله • المرأة العربية • المطبعة الرحمانية • مصر ١٩٢٢
٤٣) العقاد • عباس محمود • بين الكتب والناس • مطبعة مصر • القاهرة ١٩٥٢
٤٤) العقاد • عباس محمود • مطالعات في الكتب والحياة • المطبعة التجارية الكبرى • مصر ١٩٢٤
٤٥) فهمي • منصور • محاضرات عن مي زيادة • مطبعة دار الهنا بشارع الصحافة ببولاق • ١٩٥٥
٤٦) ماريون • هنرى • خلق المرأة • مطبعة الهلال • مصر ١٩٢٤ •
٤٧) محمد • محمود • الشعر النسائي العصرى وشهيرات نجومه • مطبعة دار الترقي • مصر ١٩٢٩ •
٤٨) مصطفى • محمود • الادب العربي و تاريخه • مطبعة مصطفى البابي حلبي • مصر ١٩٣٧ ج ١
٤٩) مظهر • اسماعيل • المرأة في عصر الديمقراطية • مكتبة النهضة المصرية • القاهرة ١٩٤٩ •
٥٠) المؤتمر النسائي • مطبعة صادر • بيروت ١٩٢٨ •
٥١) ناصف • ملك حفني • النسائيات • مطبعة الجريدة • القاهرة ١٣٢٨ هـ •
٥٢) نجم • محمد يوسف • القصة في الادب العربي الحديث • دار مصر للطباعة القاهرة ١٩٥٢ •
٥٣) نعيمة • ميخائيل • الغربال • دار المعارف للطباعة والنشر • مصر ١٩٤٦ •

٥٤) يموت • بشير • شاعرات العرب • المطبعة الوطنية • بيروت ١٩٣٤

المنشورات الدورية

٥٥) جريدة اخبار اليوم • العدد ٥٤٧ سنة ١٩٥٥ • العدد ٥٤٦ سنة ١٩٥٥

٥٦) الاداب • العدد الخامس سنة ١٩٥٣ • والعدد الثاني سنة ١٩٥٦

٥٧) الاديب • المجلد الاول • الجزء الاول • والجزء الثالث من مارس ١٩٥٦ •

٥٨) الجمهور • العدد الخامس والسبعون سنة ١٩٣٨

٥٩) الرسالة • المجلد الاول • العدد ٨٣ • والمجلد الثاني عدد ٤٣٥ • والمجلد الثاني عدد ٤٣٥ • والمجلد السادس عدد ٢٤٣ •

٦٠) صوت المرأة • المجلد الخامس • العدد الثاني عشر •

٦١) العصبة • المجلد التاسع • العدد الخامس

٦٢) المسرة • المجلد الثامن والعشرون • الجزء الاول سنة ١٩٤٢

٦٣) المعلم الجديد • المجلد السابع • الجزء الثاني

٦٤) المقتطف • المجلد الثامن والثمانون • الجزء الخامس • المجلد المئة الجزء الاول • والمجلد السابع والخمسون • الجزء السادس

٦٥) المكشوف • المجلد الثامن عدد ٣٣٨ • المجلد الخامس والاربعون • عدد ٣٩٦

٦٦) الهلال المجلد السادس والثلاثون الجزء السادس • المجلد ٥٩ القسم الاول الجزء الثالث •

مؤلفات مي

١) زيادة ، مي ، ازاهير حلم ، دار بيروت ١٩٥٢

٢) زيادة ، مي ، باحثة البادية ، "المقتطف" المجلد الرابع والخمسون الاجزاء : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ،

"المقتطف" المجلد الخامس والخمسون الاجزاء : ١ ، ٦

"المقتطف" المجلد السادس والخمسون الجزء : ١

٣) زيادة ، مي ، بين الجزر والمد ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٢٤

٤) زيادة ، مي ، رسائل مي ، دار بيروت ١٩٥٢

٥) زيادة ، مي ، الصحائف ، المطبعة السلفية ، مصر ١٩٢٤ .

٦) زيادة ، مي ، ظلمات واشعة ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٢

٧) زيادة ، مي ، المساواة ، مكتبة الهلال ، القاهرة ، سنة ١٩٢٣

المراجع القديمة

٨) الابشيهي ، شهاب الدين احمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، بولاق ١٢٧٢ هج ٢

٩) ابن ابي طاهر ، ابو الفضل احمد ، بلاغات النساء وطرائف كلامهن ، النجف ، المكتبة المرتضوية ١٣٦١ هـ

١٠) ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، المطبعة الشرفية ، كلكتا ١٩٠٧ ج ٨

١١) ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد ، العقد الفريد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، مصر ١٩٤٩ ج ٦

١٢) ابن قيم الجوزية ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ، اخبار النساء ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ١٣١٩ هـ .

١٣) الاصبهاني ، ابو الفرج ، الاغاني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٧ الاجزاء : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٨ ،

١٤) الاصبهاني ، ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب ، محاضرات الادباء ، المطبعة العامرة الشرفية ج ١

١٥) التبريزي ، ابو زكريا يحيى بشرح ديوان الحماسة ، بولاق ١٢٩٦ هـ الاجزاء : ١ ، ٢ ، ٣ .

وقد اخترت بين الطريقين ثانيهما ، فاذا المرأة تقتحم الدروب التي سلكهـــا الرجل ، وتطبعها بطابعها وتلون الحذق بالاصالة ، وتضيف اليها جدة منبعثة مـــن ملابسات حياتها الذاتية ومن احوال عيشتها النسوية التي تباين عيشة الرجل بما يحفها من مشاعر امومة جارفة ، وتأصل محبة الاب والاخ في نفسها ، وما يسود حياتها من قلـق في بيت رجلها ، وهي المهددة بكلمة طلاق تلتمع جحودا في نفسه ، وما يتبع ذلـــك من انفعالات حادة ، كالغيرة والحرص والبغض والامـل والرجاء . وهكذا وضعت المـرأة ادبها ، مستلهمة قلبها وعقلها ، فعاد عليها كلاهما بما يمتع ويفيد ، ولئن كان هناك اكثار وجودة في بعض الاغراض دون الاخرى ، فالتماس العذر لها ، عائد الى شغفها بحـوز اعجاب الرجل ، فهي اميل لولج الابواب التي ولجها ، ثقة عجيبة بابداع الرجل ومقدرته ، فالمرأة مثلا قد اكثرت في الغزل والرثاء ، واقلت في الوصف والحكمة ، وادب الرجـــل نفسه ، يحاكي هذا الاكثار والقلة . ولكنها جودت بهما ، والتعويل في الاثر الـــفني على الجودة ، وحكم هذه الجودة قائم في تلك الصفحات المشرقة التي يضن بهـــا الادب العربي مباهيا فخورا .

مـــي فـــي المجتمـــــع

الادب النسائي

قبل مي

المرأة والشعر القديم والمولـــد

كان ميلاد شاعر في قبيلة جاهلية يعني امتداد سطوة تلك القبيلة وتثبيـــت مثلها ، وكان ظهور شاعر اسلامي يعني دفاعا عن القيم الدينية الجديدة ، واشتدت الحاجة الى الشاعر الخطيب في العهد الاموى ، ووضعت قيود مجارات القديـــم ، حول عنق الشاعر العباسي .(١)

في حين ظلت الشاعرة في نجوة عن ذلك كله ، تستملي الشعر من طبيعتها ، راثية اذ يروعها موت عزيز ، متغزلة عن حنة قلب ، بعيدة عن تملق المدح وتحـدى الهجاء .

المرأة والرثـاء

لعله لا يقرأ امرؤ رثاء امرأة ، الا ويود لو يبعث سليبها حيا ، لما تبديه مـن تخاذل تجاه فقد الركن ، بحيث تضمحل في الوجود بموت اب وزوج واخ وابن .

فلا يكاد رسول الله يسمـع شعر قتيلة بنت الحارث في رثاء اخيها النضـــر ، حتى يرق قلبه ويقول لابي بكر : " لو كنت سمعت شعرها مـا قتلته ". (٢)

والنضـر بن الحارث ، كان ممن اسر يوم بـدر ، وكان شديد العداوة للـــه ولرسوله وقد قتله علي بن ابي طالب ، ومن ابيات قتيلة في رثائـه :

---

(١) طه بدر . عبد المحسن . "الشعر العربي والتجربة الانسانية" "الاداب" العدد الثاني سنة ١٩٥٦ ص ٢٥ ـ ٣١ .

(٢) الحصرى . زهر الاداب . مطبعة دار احياء الكتب العربية . القاهرة ١٩٥٣ الجزء الاول ط ٢٨ ـ ٢٩ .

ما كان ضرك لو مننت وربما — من الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنظر اقرب من قتلت قرابة — واحقهم ان كان عتق يعتق . (١)

وتقول ام تأبط شرا وهي ام ثابت بن جابر المعروف بتأبط شرا راثية ابنها :

كل شيء قاتل — حين تلقى اجلك
ليت نفسي قدمت — للمنايا بدلك . (٢)

وتقول اعرابية في رثاء ابنها :

يا عمرو مالي عنك من صبر — يا عمرو يا اسفي على عمرو
لو قيل تفديه بذلت له — مالي وما جمعت من وفر
او كنت مقتدرا على عمري — آثرته بالشطر من عمري . (٣)

وتقول الخنساء (٤).

دق عظمي وهاض مني جناحي — هلك صخر فما اطيق براحا . (٥)

وتقول سلمى بنت الحريث النضرية ، راثية زوجها زفر :

اصبحت نهبا لريب الدهر صابرة — للذل اكثر حنانا الى زفر
كان العماد لنا في كل حادثة — تاتي بها نائبات الدهر والقدر . (٦)

---

(١) الحصرى . زهر الاداب ج ١ ص ٢٨ — ٢٩
(٢) الخنساء . الديوان . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٨٨٨ ص ١٢١
(٣) الحصرى . زهر الاداب ج ١ ص ٤٠٨
(٤) بنت عمرو بن الحرث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية . والخنساء لقب وقع عليها .
(٥) شيخو . شرح ديوان الخنساء . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٦ ص ١٤
(٦) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء . النجف . المكتبة المرتضوية ١٣٦١ هـ ص ١٩٨

وتعج المرأة في الرثاء ،على صفات فقيدها ، فتذكرعنها ما كان عظيما في عينها، فتشف بذلك عما يجذب روحها من قيم خلقية ، تبدو بشكلها العضوى خلال اللوعة . ففي قصائد الخنساء ،عميدة الرثاء النسوى ، ما يلهج بذكر المعاني النفسية الرفيعة ، وما يأتي على تبيان قيم العصر في رسم الانسان الفاضل ، فتقول في رثاء اخيها :

كانما خلق الرحمن صورته ... دينارعين يراه الناس مفقودا
قد عشت فينا ولا ترمى بفاحشة ... حتى توفاك رب الناس محمودا . (١)

وتقول عاتكة ، وهي اخت سعيد بن زيد احد العشرة الذين شهد لهم النبي بالجنة وقد توفى ازواجها الاربعة استشهادا ، وقال عمر بن الخطاب عنها : من احب الشهادة فليتزوج بعاتكة . (٢) تقول في رثاء الزبير بن العدام :

رؤوف على الادنى غليظ على العدا ... اخي ثقة في النائبات نجيب
حتى ما يقل لا يكذب القول فعله ... سريع الى الخيرات غير قطوب. (٣)

وتقول زينب بنت الطثرية ، ترثي اخاها يزيد :

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذى حملته فهو حامله
اذا جد عند الجد يرضيك جده ... وذو باطل ان شئت الهاك باطله . (٤)

وكان للجود ، نصيب من الذكر ، فقالت عمرة بنت الخنساء :

فان يك قد ولى الاقيصر وانقضى ... به رائب من دهره المتقلب
فقد كان حصنا لا يرام ومعقلا ... عظيم رماد القدر غير مسبب. (٥)

---

(١) الخنساء . الديوان ص ٢٠
(٢) الحصرى . زهر الاداب ج ١ ص ٣٧
(٣) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها
(٤) الاصبهاني . الاغاني . مطبعة دار الكتب المصرية . ١٩٣٥ ج ٨ ص ١٨٢-١٨٣
(٥) الخنساء . الديوان . ص ٩٦

كما ان الشجاعة ، كانت تاسر نفس الشاعرة ، وتجعلها تكبر من يتحلى بها ، حتى لتغفر له قتل عزيز لديها ، كما كان من امر ام كلثوم بنت عبدود بن قيس من بني عامر ، وهي التي نعي اليها اخوها عمرو ، يوم الخندق سنة ٦٢٧ م ، فسألت من قتله ؟ فقيل لها علي فقالت : لم يأت يومه الا على يد كفء كريم ، وانشدت :

اسدان في ضيق المكر تجاولا ... وكلاهما كفو كريم باسل
فتخالسا سلب النفوس كلاهما ... وسط المجال مجالد ومقاتل . (١)

وهي القائلة ايضا :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت ابكي عليه اخر الابد
لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديما بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة ... الى السماء تميت الناس بالحسد . (٢)

وقد استطاع الشاعر في رثائه ، ان يخلص من تجربة الموت ، بحكمة دنيوية تزيد في قيمة رثائه ، في حين تندفع المرأة في مشاعرها الحزينة ، دون ان تقف هذه الوقفة البصيرة ، ولعل عذرها كامن في انسجامها مع ما يقتضيه الرثاء من نفس مصدوعة ، لا تكاد تجد تعزية في صواب او حكمة . وان ابر ما في رثاء المرأة ، انه يبقى على حدة المها ، خلوا من الجحود الالهي ، دون تساؤل عابث بالموت واصله ، ودون اتيان بمعنى يشي بشكها برحمة الله ، اذ هي ترضى بالموت قضاء محتوما ، وتستنزل الرحمة على الفقيد صابرة مذعنة فتقول الخنساء :

اذهب حريا جزاك الله جنته ... عنا وخلدت في الفردوس تخليدا . (٣)

---

(١) الخنساء الديوان ص ١٢٧
(٢) الحصري . زهر الاداب ج ١ ص ٤٧
(٣) الخنساء . الديوان ص ٢٠

وتقول اعرابية في رثاء ابنها :

لو شاء ربي كان متعنـــي بابني وشد بازره ازرى
لا يبعدنك الله يا عمـــرى اما مضيت فنحن بالاثر. (١)

وتبدو بعض هذه الميزات ، في كثير من رثاء الشاعرات ، كبنت مالك بن بدر ، وجليلة بنت مرة الشيباني ، وخزانة بنت خالد بن جعفر ، وخولة اخت ضرار ، وريطة بنت العجلان ، وسارة القرظية ، وسمية زوجة شداد بن معاوية ، وصفية الباهلية ، وصفية بنت مسافر ، وعاتكة بنت زيد ، وعمرة بنت دريد ، وعمرة الخثعمية ، والفارغة بنت شداد ، وفاطمة الخزاعيـــة ، وناجية بنت ضمضم . (٢)

المرأة والغـــزل :

اما في الغزل ، فقد سلكت المرأة طريقا طيبا ، جارت به الرجل ، في التعبير عن خلجات قلبها ، وفي ابداء مضمون نفسها في قصائد حلوة . وابعدت في اقتحامها هذا عن الكلمة النابية والمعنى المبتذل ، حرصا على ان تكون اهلا لتلقي الفيض المستمد مـن نقاء العاطفة وصفاء الشعور وهي لم تات بجديد في غزلها ، وانما استطاعت بالبوح الرزين ، وبالشوق الكبوت ولذعة الغيرة واثارة الأسى في قلب محبها ، ان تضفي على غزلها قالبا جميلا لا يخلو من ابتكار .

واذا كان الشاعر يعجب بالصفات الظاهرة ، ويذكرها جهرا في غزله ، فان الشاعرة تؤخذ بالشمائل المعنوية ، وبالصفات المجردة التي تلـــرع قلبها تمجيدا .

فحفصة بنت حمدون ، وهي من وادى الحجارة ، من اهل المئة الرابعة ، وكانـــت اديبة عالمة شاعرة . (٣) تملك عليها الهيئة في محبها فتقول :

---

(١) الحصرى . زهر الاداب ج ١ ص ٤١٠
(٢) الخنساء . الديوان ص ٩٤ - ٢٠٢
(٣) المقرى . نفح الطيب . بولاق ج ٢ ص ١١٤٠

له خلق كالخمر بعد امتزاجها ... وحسن فما احلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره ... عيونا ، ويعيشها بافراط هيبته . (١)

وتقول ليلى الاخيلية في توبة :

اغر خفاجيا يرى البخل سبة ... تحلب كفاه الندى وانامله
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته ... جميلا محياه قليلا غوائله . (٢)

ولئن اكبرت الشاعرة الغروسية والشجاعة ، فانها بقيت اكثر انجذابا للرقة المعنوية وما يلابسها من اغداق عطف ومحبة ، فجارية امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد ، مرت برجل من بني سعد ، وكان شجاعا مغوارا ، فلما رآها قال : " طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ثم انه اتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها ، فقالت للرسول : ما حرفته ؟ فابلغه الرسول قولها ، فقال ارجع اليها ، فقل لها :

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي ... مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت لي الخيل يوما رأيتني ... امام رعيل الخيل احمى حقائقي

فانشدها الرسول ما قال ، فقالت له : ارجع اليه وقل له : انت اسد ، فاطلب لنفسك لبوءة فلست من نسائك وانشدت :

الا انما ابغي جوادا بماله ... كريما محياه قليل الصدائق . (٣)

ونهلت المرأة من غصص الالم شيئا كثيرا ، وتذوقت من لوعة الحب ما جعلها تندد به ، فتقول ام الكرام ، وهي بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية ، وكانت قد عشقت فتى مشهورا بالجمال من دانية ، المعروف بالسمار ، وعملت فيه الموشحات ، كما يذكر المقرى . (٤)

---

(١) المقرى . نفح الطيب بولاق ج ٢ ص ١١٤٠
(٢) بشير يموت . شذرات العرب . المطبعة الوطنية بيروت ١٩٣٤ ص ١٤٥
(٣) ابن عبد ربه . العقد الفريد . مطبعة لجنة التأليف والترجمة مصر ١٩٤٩ ج ٦ ص ١٠١ - ١٠٢ .
(٤) المقرى . نفح الطيب . بولاق ج ٢ ص ١٠٧٨

يا معشر الناس الا فاعجبـــوا ... مما جنتـــه لوعة الحـــب
حسبي بمن اهواه لوانـــه ... فارقني تابعه قلبـــي . (١)

وتقول زينب بنت زياد المؤدب الواشية :

ولما ابى الواشون الا فراقنـا ... ومالهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة ... وقل حماتي عند ذاك وانصارى
غزوتهم من مقلتيك وادمعـي ... ومن نفسي بالسيف والماء والنار. (٢)

وعرفت الشاعرة مرارة الغيرة ، فعبرت عنها بصدق ، كما فعلت حفصة بنت الحاج الركونية قائلـــة :

اغار عليك من عيني رقيبـــي ... ومنك ومن زمانـــك والمكـــان
ولواني خبأتك في عيونـــي ... الى يوم القيامة ماكفـــــاني . (٣)

وكان الحرمان يطغي على حبها ، اكثر مما يطغى على حب الرجل ، وقدر لهذا الحرمان ، ان يكون لها ملهما ، فعليه بنت المهدى التي نالت من عسف الرشيد ظلما كثيرا ، جعلها تومئ الى ذكر حبيبها بمعنى لا يخلو من جدة ، لتعبر عن حبها :

اليست سليمى تحت سقف يكنها ... واياى هذا في الهوى لي نافـــع
ويلبســها الليل البهيم اذا دجا ... وتبصر ضوء الصبح والفجر ساطـــع
تدوس بساطا قد اراه وانثـــني ... اطأه برجلي كل ذا لي نافـــع. (٤)

ولعل ابعد الالام غدرا في نفسها ، هو الم الكتمان المختفي طي الصمت المفروض عليها ، وفيما تقوله ليلى العامرية ، في قيس شيء مما تزخر به القسوة :

---

(١) المقرى ، نفح الطيب بولاق ج ٢ ص ١٠٧٨
(٢) المصدر نفسه . ص ٧٨٩
(٣) المقرى ج ٢ ص ١٠٨١
(٤) يموت . شاعرات العرب ص ٢٣٢

لم يكن المجنون في حالـــة الا وقد كنت كما كانـــا
لكنه باح بســـر الهـــوى وانني قد ذبت كتمـانا . (١)

حتى الجارية التي عرفت الانطلاق ، لم تعلن حبها في كثير من الاحيان ، وكأن شيئا في طبيعة المرأة يلزمها مواراة الحب . ففضل جارية المتوكل تقول :

لأكتمن الذى بالقلب من حرق حتى اموت ولم يعلم به الناس. (٢)

وكان اولياء المرأة ، يضطرونها الى الايماء والتصحيف ، كما جرى لعلية بنـــت المهدى ، (١٦٠ ـ ٢١٦) التي شيبت بغلامين من مماليك اخيها ز نهاها الرشيد عنهما ، فصحفت اسم احدهما طل بظل ، واسم للاخر رشا بزينب ، ومن قولها في رشا :

انما زينبُ همّـي بابي تلك وامـــي
بابي زينب لا أكـ ـنى ولكني اسمـــي
بابي زينب من قاض قضى عمدا بظلمـــي (٣)

وجعلت اسماء المرية ، صاحبة عامر بن الطفيل ، مخاطبتها الى حبيبها مناجاة للوطن :

ايا جبلي وادى عريقـرة التي نأت عن ثوى قومي وحم قدومها
الاخليا مجرى الجنوب لعلـه يداوى فؤادى من جواه نسيمها
وكيف تداوى الريح شوقا مماطلا وعينا طويلا بالدموع سجومهـــا
وقولا لركبان تميمية غـــــدت الى البيت ترجوان تحط جرومها
بان باكناف الرغـــام غريبـــة مولهة ثكلى طويلا نئيمهـــــا
مقطعة احشاؤها من جوى الهوى وتبريح شوق عاكف ما يريمهـــا . (٤)

---

(١) الابشيهي . المستطرف في كل فن مستظرف . بولاق ١٢٧٢ ج ٢ ص ١٩٤
(٢) البستاني . كرم . النساء العربيات . مكتبة صادر . بيروت سنة ؟ ص ٢٥
(٣) الاصبهاني . الاغاني ج ٤ ص ٤٠٣
(٤) القالي . الامالي . مطبعة دار الكتب المصرية . ١٩٢٦ ج ٢ ص ١٩٧ .

وتعبير المرأة حتى في بوحها ، مستمد من احتراسها ان تظل المرغوبة المتودد اليها ، فهي تطرى جمالها وتذكر المحب به ، فقد صارت حفصة بنت حمدون يوما الى باب ابي جعفر بن سعيد ، وضربت الباب فخرجت جارية تنظر من الضارب ، فوجدت امرأة فقالت لها ماتريدين فقالت ادفعي لسيدك هذه الرقعة ، فجاءت برقعة فيها :

زائر قد اتى بجيد الغزال ... مطلع تحت جنحة للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت ... ورضاب يفوق بنت الدوالي
بفضح الورد ما حوى منه خد ... وكذا الثغر فاضح للآلي . (١)

وتقول حفصة بنت الحاج الركونية :

ازورك ام تزور فان قلبي ... الى ما تشتهي ابدا يميل
فثغرى مورد عذب زلال ... وفرع ذوءابتي ظل ظليل . (٢)

ومع هذا فان بعض الشاعرات لم يجدن زاجرا يكفهن عن البوح ، حين كانت طبيعة الحب تملي عليهن ذلك ، فولادة بنت المستكفي التي يقول عنها المقرى: "كان ابوها المستكفي بايعه اهل قرطبة لما خلعوا المستظهر ، وكان خاملا ساقطا ، وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة اوابد ، وحسن منظر وفجر وحلاوة مورد ومصدر ." (٣)

فهي تعلن لابن زيدون شغفها دون مواربة قائلة :

بي منك ما لو كان بالشمس لم تلح ... وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر. (٤)

---

(١) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٨٣
(٢) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٨٢
(٣) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٩٩
(٤) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٩٨

والخنساء بنت التيحان تبث جحوش الخفاجي حبها قائلة :

بنفسي واهلي جحوش وكلامه وانيابه اللائي جلا ببشام
الا ان وجدى بالخفاجي جحوش بري الجسم مني فهو نضو سقام . (١)

وتقول زينب المرية ، وكانت اديبة شاعرة :

يا ايها الراكب الغادى مطيته عجّ انبيك عن بعض الذى اجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم الا ووجدى بهم فوق الذى وجدوا . (٢)

وذكرت الشاعرة الم الفراق ، فقالت ولادة :

الاهل لنا عن بعد هذا التفرق سبيل فيشكو كل صب بما لقي
وقد كنت اوقات التورفي الشتا ابيت على جمر عن الشوق محرق . (٣)

وقالت حفصة بنت حمدون :

يا وحشتي لاحبتي يا وحشة متمادية
يا ليلة ودعتهم يا ليلة هي ما هيه . (٤)

وعرفت المرأة الم التجني ، فقالت اعرابية تشكو ظلامة محبوبها :

وانت الذى اخلفتني ما وعدتني واشمت بي من كان فيك يلوم
وابرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا ارمى وانت سليم . (٥)

وحين عشقت عريب جارية المأمون ، محمداً بن حامد ، سجنها المأمون من اجله في كنيف مظلم لا ترى فيه الضوء ، فلم تنقطع عن حبه وقالت فيه :

---

(١) يموت . شاعرات العرب . ص ٧٥
(٢) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١١٤١
(٣) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٩٨
(٤) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١١٤١
(٥) الاصبهاني . الاغاني . مطبعة دار الكتب . ج ٢ ص ٥٩

ويلي عليك ومنكـــا اوقعت في الحق شكا
زعمت اني خؤون جورا علي وافكـــــا
ان كان ما قلت حقا او كنت ازمعت تركـــا
فابدل الله مـــا بي من ذلة الحب منكـــا . (١)

وكان يحلو لها ان تجافي المحب ، وان تأتي على ذكر الصدود في شعرها ، ففضل جارية المتوكل ، لم ترق لها مطارحة علي بن الجهم ، الذى قال :

لاذ بها يشتكي اليها فلم يجد عندهـا ملاذا
فاجابته: ولم يزل ضارعا اليها تهطل اجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد عشقـــا فمات وجدا فكان ماذا؟ ! (٢)

وام العلاء بنت يوسف الحجارية ، وهي من اهل المائة الخامسة ، قد عشقها رجل اشيب كتبت اليه :

الشيب لا يخدع فيه الصبى بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن اجهل من في الورى يبيت في الجهل كما يضحي . (٣)

وقلما استعملت المرأة التأنيث في مخاطبة الحبيب ، مثلما استعمل الرجل التذكير في مخاطبة المرأة وكأن ذوقها لم يسغ صياغة كتلك ، فكانت تخاطب الرجل مباشـــرة ، الا ان صرفها داع عن ذلك قسرا .

والمرأة الشاعرة اذ تحب مخلصة ، تفي حتى ولو يحال بينها وبين المحب ، فتقول بنت حباب في يحيى بن حمزة وهو رجل من بني عقيل :

---

(١) البستاني . النساء العربيات . ص ٢٤
(٢) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص١٠٧٨
(٣) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص٢١٩

سأرعى ليحيى الود ما هبت الصبا وان قطعوا في ذاك عمدا لسانيا.(١)

ويملك عليها اخلاصها ، حتى لا تستطيع في امرها نسيانا ، فعلية بنت المهدى تقول :

لم ينسينك سرور لا ولا حزن وكيف لا وكيف ينسى وجهك الحسن
ولا خلامنك لا قلبي ولا جسدى كلي بكلك مشغول ومرتهـــن . (٢)

وكانت الشاعرة تفخر بعفافها ، فقد دخلت بثينة صاحبة جميل ، على عبد الملك بن مروان فقال لها : يا بثينة ما ارى فيك شيئا مما كان يقوله جميل ، فقالت : يا اميـــر المؤمنين ، انه كان يرنو الى ، بعينين ليستا في رأسك . (٣)

وتقول بنت ابي ضيغم البلويـة :

وبتنا خلاف الحي لا نحن منهم ولا نحن بالاعداء مختلطان
نذود بذكر الله عنا من الصبـــا اذا كان قلبا نابيا بردان
ونصدر عن رى العفاف وربمـــــا نقعنا غليل النفس بالرشفان . (٤)

ولعل امتع ما في غزل المرأة ، هو انها استطاعت ببداهة الشعور ، ان تعبر عن امور خفية في الحب ، قد اقرها علم النفس الحديث ، فعلم النفس يعالج الهوى بالنسيان ، وذلك بان يوجد صاحب الهوى لنفسه حبا اخر ، يطغى على الحب الاول ، ويبدى اثـر البعاد في قتل المشاعر ، ويذكر ما لليأس من قوة في نزع الهوى عن القلب . (٥) وام الضحاك المحاربية الشاعرة الجاهلية ، استلهمت في ذلك حدسها فقالت :

سألت المحبين الذين تحملوا بتاريخ هذا الحب من سالف الدهر
فقلت لهم ما يذهب الحب بعد ما تبوأ ما بين الجوانح والصـــدر

---

(١) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ٢١٩
(٢) ياقوت . شاعرات العرب . ص ٢٣١
(٣) الابشيهي . المستطرف بولاق ج ٢ ص ١٩٥
(٤) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ٢١٧
(٥) الجمالي . حافظ . دروس علم النفس مطبعة الوقت . حلب ١٩٤٧ ج ١ ص ١٥٨

فقالوا شفاء الحب حب يزيله　　من اخر او نأى طويل على هجر
او اليأس حتى تذهل النفس بعدما　　رجت طمعا واليأس عون على البصر. (١)

وهي القائلة ايضا :

وما الحب الا سمع اذن ونظرة　　وحنة قلب عن حديث وعن ذكر
ولو كان شيء غيره فني الهوى　　وابلاه من يهوى ولو كان من صخر. (٢)

وعلية بنت المهدي ، تومئ الى الاكثار من الزيارة واثرها في تخفيف الحب ، والملل من الاكثار يثبته علم النفس ايضا فتقول :

اني كثرت عليه في زيارته　　فمل والشيء مسلول اذا كثرا
ورابني منه اني لا ازال ارى　　في طرفه قصرا عني اذا نظرا. (٣)

وام الحناء بنت القاضي بن عطية ، عرفت دموع الفرح التي تصحب هزة القلب المفتون فقالت :

جاء الكتاب من الحبيب بانه　　سيزورني فاستحبرت اجفاني
غلب السرور علي حتى انه　　من فرط عظم مسرتي ابكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة　　تبكين في فرح وفي احزان
فاستقبلي بالبشر يوم لقائه　　ودعي الدموع لليلة الهجران (٤)

---

(١) يموت ، شاعرات العرب ، ص ٦٤
(٢) ابن ابي طاهر ، بلاغات النساء ص ٢٢٣
(٣) يموت ، شاعرات العرب ، ص ٢٣١
(٤) نيكل ، مختارات من الشعر الاندلسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٤٩ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

المرأة وسائر الاغراض الشعرية

واذا كان الادب النسوى ، قد عرف بكثرة الرثاء والغزل ، فانه لم يخل كذلك من الاغراض الشعرية الاخرى ، التي لا تقل في جودتها عما سبق . فقد وقفت الشاعرة متمعنة في احوال الحياة حولها ، وعادت بالحكمة الناضجة والرأى الحميد .

فقالت ام السعد بنت عصام الحميرى — وهي من اهل قرطبة ، وتعرف بسعدونة

آخ الرجال من الايا م عد والاقارب لا تقارب
ان الاقارب كالعقا م رب اواشد من العقارب . (١)

وقالت حرقة بنت النعمان ، بعد ان مالت بها الدنيا :

بينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف . (٢)

اما قمر جارية ابراهيم بن الحجاج صاحب اشبيلية ، الذى اشتراها من بغداد ، فقد اثارت حفيظة النساء بمعرفتها وبيانها ، فطفقن يتهامس اذا مرت ، فقالت معرضة بهن :

لو يعقلون لما عابوا غريبتهم لله من امة تزرى باحرار
ما لابن ادم فضل غير همته بعد الديانة والاخلاص للبارى
لو لم تكن جنة الا لجاهلة رضيت عن حكم رب الناس بالنار . (٣)

وعرف الشعر النسائي ، الانجذاب الرباني في التصوف ، فرسمت رابعة بنت اسماعيل العدوية ، حالة الاشراق الالهي في ابياتها الشعرية :

---

(١) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٧٦
(٢) التبريزى . شرح ديوان الحماسة . بولاق . سنة ؟ ج ٣ ص ١٠٩ — ١١٠
(٣) البستاني . النساء العربيات ص ٢٩ .

اني جعلتك في الفؤاد محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانسي وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي .(١)

وكان للحنين الى الوطن ، نصيب من التفات الشاعرات ، باذكار عذب للارض التي رعتهن فقالت وجيهة بنت اوسى الضبية :

وعاذلة تغدو علي تلومني على الشوق لم تمح الصبابة من قلبي
فمالي ان اجبت ارض عشيرتي وابغضت طرفاء القصيبة من ذنب
فاني اذا هبت شمالا سالتها هل ازداد صداح النميرة من قرب.(٢)

وزينب ام حسانة الضبية ، جلست بين الرياحين والازهار ، فتشوقت الى باديتها قائلة :

لعمرى لنهر باللوى نازح القذى بعيد النواحي غير طرق مشاربه
احب الينا من صهارج ملئت للعب ولم تملح لدى ملاعبه
فيا حبذا نجد وطيب ترابه اذا اهضبته بالعشي هواضبه
واقسم لا انساه ما دمت حية وما دام ليل من نهار يعاقبه.(٣)

وقالت قمر التي جلبت الى الاندلس من بغداد ، جارية لابراهيم بن الحجاج اللخمي ، متشوقة الى بغداد :

آها على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في احداقها
وحجالها عند الفرات باوجه تبدو اهلتها على اطواقها
نفسي الفداء لها فاى محاسن في الدهر تشرق من سنا اشراقها.(٤)

وكانت للمرأة يد طولى ، في اذكاء الحماسة من اخذ بتأر او طلب عدو ، فكبشة بنت معد بن يكرب تعير اخاها عمرا ، لقعوده عن ثأر اخيه عبد الله قائلة بتهكم لاذع :

---

(١) ياقوت . شاعرات العرب ص ١٥٢
(٢) التبريزى . شرح ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٨٧ - ١٨٨
(٣) الاصبهاني . الراغب . محاضرات الادباء . المطبعة العامرة الشرفية . مصر ١٣٢٦ ج ٢ ص ٢٧٧
(٤) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ٧٥٨ .

ودع عنك عمرا ان عمرا مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فان انتم لم تثأروا واتديتم ... فمشوا باذان النعام المصلم. (١)

وقد تعير الشاعرة قومها ، اذا حالفهم الفشل ، لاستنهاض همتهم ، فقد قالت امرأة من غامد ، لما هزم ربيعة بن مكدم جمع غامد وحده :

الا هل اتاها على نايها ... بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتي فارس ... فردكم فارس واحد
فليت لنا بارتباط الخيول ... ضأنا لها حالب قاعد. (٢)

وعاتكة بنت عبد المطلب ، تتطرق الى الفخر ، مباهية بيوم عكاظ :

سائل بنا في قومنا ... وكفاك من شر سماعه
فيسا وما جمعوا لنا ... في مجمع باق شذاعه
فيه النسور والقنا ... والكبش ملتمع قناعة
فيه قتلنا مالكا ... قسرا واسلمه رعاعه
ومجدلا غادرنه ... بالقاع تنهشه ضباعه. (٣)

وافتخرت امامة بنت ذى الاصبع بقومها ، فقالت :

كم من فتي كانت له ميعة ... ابلج مثل القمر الزاهر
قد مرت الخيل بما فاته ... كمرغيث لجب ماطر
قد لقيت منهم وعدوانها ... قتلا وهلكا اخر الغابر
كانوا ملوكا سادة في الذرى ... دهرا لها الفخر على الفاخر. (٤)

---

(١) التبريزى . شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ١١٧ - ١١٨
(٢) الجاحظ . البيان والتبيين . شرح السندوبي . المطبعة الرحمانية . مصر ١٩٣٢ ج ١ ص٢٠٨
(٣) التبريزى . شرح ديوان الحماسة ج ٢ ص١٣٠ - ١٣١
(٤) الاصبهاني . الاغاني . مطبعة دار الكتب المصرية ج ٣ ص ١٠٨

وقالت ليلى الاخيلية في الانفة والاباء :

ستحملني ورجلي ذات لوث ... عليها بنت اباء كـــرام
اذا جعلت سواد الشام دوني ... واغلق دونها باب اللثام
فليس بعائد ابدا اليهـــم ... ذوو الحاجات في غلس الظلام
لثام الملك حين تعد كعـــب ... ذوو الاخطار والخـــطط الجسام . (١)

كذلك فقد عالجت الشاعرة المدح ، وترفعت فيه عن التذلل وطلب المال ، وجعلت همها ان تبدى شمائل الممدوح ، التي استحوذت اعجابها ، وان تقر بحسن الصنيع . فتقـــول حسانة التميميـــة بنت ابي الحسين الشاعر ، بعد موت ابيها في مدح الحكم :

انت الامام الذى انقاد الانام له ... وملكته مقاليد النهى الامم
لا شيء اخشى اذا ما كنت لي كنفا ... اوى اليه ولا يعروني العدم
لا زلت بالعزة القعساء مرتديـــا ... حتى تذل اليك العرب والعجم . (٢)

وقالت قمر جارية ابراهيم بن الحجاج اللخمي ، تمدحه :

ما في المغاربِ من كريم يرتجى ... الا حليف الجود ابراهيـــم
اني حللت لديه منزل نعمـــة ... كل المنازل ما عداه ذميم . (٣)

وقد مدحت ليلى الاخيلية الحجاج ، فاثارت اعجابه وسأل عنها يحي بن منقذ ، ودعـــا عبيدة بن موهب ليسمعها ، فقال عبيدة : هذه الشاعرة الكريمة وجب حقها . (٤) قالت في مدحه :

احجاج ان الله اعطاك غاية ... يقصر عنها من اراد مداها
احجاج لا يغلل سلاحك انما الـ ... ـمنايا بكف الله حيث تراها

---

(١) الاصبهاني . الاغاني . مطبعة دار الكتب . ج ١٠ ص ٨٢
(٢) المقرى . نفح الطيب . ج ٢ ص ١٠٧٧
(٣) المقرى . نفح الطيب . ج ٢ ص ٧٥٨
(٤) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب المصرية ج ١١ ص ٢٠٤

اذا هبط الحجاج ارضا مريضة تتبع اقصى دائها فشفاها . (١)

اما الهجاء ، فلم تقذع فيه المرأة ولم تتجن ، وقد انفت ان تقوله متعدية ، ذكر الاصبهاني ان حسانا بن ثابت قال للخنساء : "اهجي قيس بن الخطيم ، فقالت : لا اهجو احدا ابدا حتى اراه ، فجاءته يوما فوجدته في مشرقة ، ملتفا في كساء له ، فنخسته برجلها ، وقالت قم فقام ، فقالت ادبر فادبر ، ثم قالت اقبل فاقبل ، فقالت : والله لا اهجوهذا ابدا ." (٢)

وكان يروق للشاعرة هجاء الزوج ، هجاء رقيقا ، ترجو وراءه العتب والاصلاح ، فقد عابت احداهن على زوجها انانيته فكتبت اليه ، وقد علمت انه حضر طعام الحجاج ، وارسل اليها يعلمها بذلك كتابة :

ايهدى لي القرطاس والخبز حاجتي وانت على باب الامير بطين
اذا غبت لم تذكر صديقا ولم تقم فظلت على ما في يديك ضنين
فانت ككلب السوء ضيع اهله فيهزل اهل البيت وهو سمين . (٣)

وقالت اخرى تذكر فرط عنائها بزوجها :

ما زلت في استعطاف قلبك بالهوى كالمرتجي مطرا بغير سحاب
يا رحمتي لي في يديك ورحمتي لي منك يا شينا من الاصحاب
يا ليتني من قبل ملكك عصمتي امسيت ملكا في يد الاعراب . (٤)

وقد هجت الخنساء دريد بن الصمة حين خطبها في شيخوخته قائلة :

يرى شرفا ومكرمة اتاها اذا اغذى الجليس جريم تمر
ولو اصبحت في جشم هديا اذا اصبحت في دنس وفقر

---

(١) الاصبهاني - الاغاني . دار الكتب المصرية ج ١١ ص ٢٠٤
(٢) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب المصرية ج ٣ ص ١٠
(٣) عفيفي . عبد الله . المرأة العربية . المطبعة الرحمانية . مصر ١٩٢٢ ص ٢٢٦
(٤) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء . ص ١٥٤

قبيلة اذا سمعوا بذعـر تخفـى جمعهم في كل حجر. (١)

وقالت امرأة ضربها زوجها :

فانت الداء ليس له دواء وانت الفقر ليس له انجبار
ولو مصت النضار تج مسكا لخبت المسك بعدك والنضار . (٢)

وكما حفل التاريخ الادبي ، بشعر الرجل المرتجل ، حفل بشعر النساء الصادر عفو الخاطر فالمعتمد ، احد ملوك بني عباد في الاندلس، يخرج مع وزيره ابن عمار الى مرج الفضـــة ، فلا يكاد يجلس، حتى يسأل وزيره ان يجيز :

صنع الريح من الماء زرد

واذا بامرأة تجيب : اى درع لقتال لو جمد . (٣)

وهذه المرأة ، اصبحت بعد ذلك ملكة واشتهرت باسم اعتماد الرميكيـة .

وحفصة بنت الحاج الركونية ، قالت في امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، ارتجالا بين يديه :

يا سيد الناس يامـــن يؤمل الناس رفـده
امنـن علي بطـــرس يكون للدهر عـــده
تخط يمناك فيه الحمد لله وحـــده . (٤)

مر مروان بن الحكم ، ببادية بني جعفر ، فرأى قطية بنت بشر ، تنزع بدلو على ابل لها وتقول :

عامان ترقيق وعام تمما لم يترك لحما ولم يترك دما
ولم يدع في رأس عظم ملدما الا زذايا ورجالا رزمـــــا . (٥)

---

(١) الخنساء . شرح الديوان ص ١٢٠ ـ ١٢١
(٢) ابن ابي طاهر. بلاغات النساء . ص ١٠٩
(٣) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١١٠٠
(٤) المصدر نفسه ص ١٠٧٩
(٥) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب المصرية ج ١ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

وكان عقيل بن علفة المرى اذا خرج يمتار بابنته الجرباء معه ، فخرج مرة فنزلوا ديرا من اديرة الشام يقال له دير سعد ، فلما ارتحلوا قال عقيل :

قضت وطرا من دير سعد وربما ... غلا عرض ناظمنه بالجماجم
فاصبحن بالموماة يحملن فتية ... نشاوى من الادلاج ميل العمائم .

ثم قال لابنته : يا جرباء اجيزى ، فقالت :

كان الكرى اسقاهم صرخدية ... عقارا تمشت في المطا والقوائم .(١)

وحين سهر المعتضد عباد ليلة ، وكانت العبادية جاريته نائمة قال :

تنام ومد نفها يسهر ... وتصبر عنه ولا يصبر
فاجابته بديهة : لئن دام هذا وهذا له ... سيهلك وجدا ولا يشعر .(٢)

وغاية المنى ، وهي جارية اندلسية متأدبة ، قدمت الى المعتصم بن صمادح بغارد اختبارها فارسلها الى ابن الغراء الخطيب ، فسألها عن اسمها فقالت غاية المنى ، قال اجيزى :

سل هوى غاية المنى ... من كسا جسمي الضنى
فقالت بديهة : واراني متيما ... سيقول الهوى انا .(٣)

ولم يخل الشعر النسوى ، من معالجة الامور الخاصة بالمرأة ، فعقوق الابناء الذى طالما تشكو النساء منه ، وجد في شذعرية ام ثواب متنفسا ، وهي امرأة عن هوازن كان ابنها قد جفاها بعد زواجه فقالت :

ربيته وهو مثل الفخ اعظمه ... ام الطعام ترى في جلده زغبا
حتى اذا اضى كالفحال شذبه ... اباره ونفي عن متنه الكربا

---

(١) ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٦ ص٩٨ - ٩٩ .
(٢) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص١١٤٠
(٣) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص١١٤١ - ١١٤٢

امسى يمزق اثوابي يؤدبني ... ابعد شيبي عندى يبتغي الادبا
اني لابصر في ترجيل لمتـــه ... وخط لحيته في خـــذه عجبـا . (١)

وكذلك وجد الطلاق في نفس الشاعرة منبما ، فقالت احداهن وقد طلقها زوجها :

غدرت بنا بعد التصافي وخنتنا ... وشر خلال الرجال خؤونها
وضيعت سرا كنت انت امينـــه ... ولا يحفظ الاسرار الا امينها . (٢)

وابدت الشاعرة العذراء احلامها في الرجل الذى تتمناه زوجا ، فجلست بنات ذى الاصبع الاربع ، وكانت كل منهن شاعرة ، تسر لاخواتها مثلها الاعلى في الرجل الذى ترجوه .

فقالت الكبرى : الا ليتزوجي من اناس ذوى غنى ... حديث الشباب طيب الريح والعطر
طبيب بادواء النساء كانـــــه ... خليفة جان لا ينام على وتـــــر

وقالت الثانية : الا هل اراها ليلة وضجيعهـا ... اشم كنصل السيف غير مبلـــد
لصوق باكباد النساء واصلـــه ... اذا ما انتمى من سر اهلي ومحتدى

وقالت الثالثة : الا ليته يملا الجفان لضيفـــه ... له جفنة يشقى بها النيب والجـزر
له حكمات الدهر من غير كبـــرة ... تشير ولا الفاني ولا الضرع الغـــمر

وقالت الرابعة: " زوج من عود ، خير من قعـود " . (٣)

وتنعكس بعض مظاهر مزاجهن في الشعر ، فتفاخر المرأة على المرأة ، وتباهيها بالجمال خاصة امام ضرتها ، تصورهما هذه الرواية التي اوردها ابن ابي طاهر ، اذ طلب اعرابي من شأنه الاربع ان تقول كل واحدة ، قولا تصف به نفسها فقالت الكندية :

كاني جني النجـل والزنجبيل ... وصفو المدامة والسلسبيل
يزين سنا الوجه لي مبســـم ... كمثل اللآلي وعين كحيـل

---

(١) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ٢٢٣
(٢) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ٣١٣
(٣) ابن قيم الجوزية . اخبار النساء . مطبعة التقدم العلمية . مصر ١٣١٩ هـ ص ٤٨ - ٤٩ .

وقالت الغسانية :

براني الهي اله السمـــا ... نصفا قضيبا ونصفا كثيبـا
والبسني ما يسوء الحسـد ... جمالا وملحا وحسنا عجيبا

وقالت الشيبانية :

افوق النساء اذا ما اجتمعن ... كبدر السماء نجوم الدجى
وتقصر عني جميع الصفـات ... فمن نالني نال فوق المنى

وقالت الفنويـة :

تزود بعينك من بهجتـي ... فقد خلق الله مني الجمالا
اذا ما تغرست في رؤيتـي ... رأيت هلالا واحوى غـزالا. (١)

وقد تبدو ميزة الوفاء النسوى ، الذى طالما انكره الناس عليها ، فقد ذكر الاصمعي انـه مر مع الرشيد قرب مقبرة ، فاذا بجارية تبكي احر بكاء ، فقال لها ما شأنك ؟ فانشدت :

فان تسألاني فيم حزني فانني ... رهينة هذا القبر يا فتيـان
اهابك اجلالا وان كنت في الثرى ... مخافة يوم ان يسوءك مكاني
واني لاستحييك والترب بيننـا ... كما كنت استحييك حين تراني . (٢)

وهي لا تتنكر لحب زوجها الاول ، حتى ولو وقف الموت بينها وبينه ، اذ قد تزوج بغيره ، ولكن ذلك لا يحول دون وفائها له ، وقد قالت اعرابية مبررة موقفها هذا :

لقد كان حبي ذاك حبا مبرحا ... وحبي لذا اذ مات ذاك شديد
وكانت حياتي عند ذلك جنة ... وحبي لذا طول الحياة يزيـد

---

(١) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ١٥١ ـ ١٥٢
(٢) ابن قيم الجوزية . اخبار النساء ص ٦١

فلما مضى عادت لهذا مودتي　　كذاك الهوى بعد الممات يبيد . (١)

وكان للامومة ان تبزغ في شعر النساء ، بكل جلال حبها وعمق عاطفتها فتلك اعرابيـــة ولدت لها ابنة ، فلم تميز بين قدومها وقدوم الذكر ، بل انها رحبت بمجيئها ورأت ميزات البنوة فيها فقالت :

وما علي ان تكون الجارية　　تكنس بيتي وترد العارية
تمشط رأسي وتكون الغالية　　وترفع الساقط من خماريـه
حتى اذا ما بلغت ثمانيـة　　ردّيتها ببردة يمانيـــه
زوجتها مروان او معاويـــة　　اصهار صدق للمهور غاليه . (٢)

وكانت الام الشاعرة ، تنكر على زوجها غضبه منها ، حين ترزق بالبنات دون البنين ، فتقـــول جارية اعرابي ، حين هجرها زوجها لانها ولدت بنتا :

ما لابي حمزة لا يأتينـا　　غضبان ان لا نلد البنينا
وانما يكره ما اعطينـــــا . (٣)

وهكذا فان المرأة على حرصها ان تجارى الرجل في المواضيع التي يطرقها ، فقد كان لها من طبيعتهـا الخاصة ، ومن احوال عيشتها النسوية ، ما انعكس في شعرها يزينـــه عذوبة وطرافـــة .

---

(١) ابن الجوزية . اخبار النساء ص ٧٤
(٢) الاصبهاني . الراغب . محاضرات الادباء ج ١ ص ١٥٧
(٣) الاصبهاني . محاضرات الادباء ج ١ ص ١٥٧

المرأة والثقافة الادبية قبل النهضة

العناية بالرواية : استطاع الادب النسوى ان يفيد من كل سائحة علمية ، ومن كل بيئة خصبة ترعرع فيها ، فقد اينع النثر فيه ، وسايرته بوادر ادبية ، واومأت الى الملكات المحتبسة التي لا تكاد تجد منفذا ، حتى تنهض مقررة امكانيتها .

فقد تنبهت المرأة الى ان الادب جهد متصل وسعي حثيث نحو تجويد الصياغة وتذوق الانتاج الفكرى ، فلم تقعد عن استيعاب فنون الادب في عصرها ، ولم تقف بها الهمة عن حفظ الكثير من الحديث والشعر والتاريخ والقصص ، حتى غدت مصدرا مرموقا في الرواية الدينية والادبية على السواء .

فقد كانت السيدة عائشة بنت ابي بكر الصديق راوية للحديث ، اخذ عنها الكثيرون من الرجال والنساء وقد قال هشام بن عروة عن ابيه : " ما رأيت احدا اعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة " (١) . كما ان علي بن ابي طالب قد تلقى الحديث على مولاة لرسول الله هي ميمونة بنت سعد التي روى عنها ابو يزيد الضبي . (٢) وكان لشهدة الكاتبة المتوفاة ٥٧٤ هـ ، السماع العالي الذى الحقت فيه الاصاغر بالاكابر ، واشتهر ذكرها وبعد صيتها . (٣) وام السعد بنت عصام الحميرى المعروفة بسعدونة من اهل قرطبة ، روت عن ابيها وجدها ، وانشدت لنفسها :

سألتم التمثال ان لم اجد ... للثم نعل المصطفى من سبيل
وافسح القلب به علـه ... يسكن ما جاش به من غليل . (٤)

---

(١) ابن حجر العسقلاني . الاصابة . المطبعة الشرفية كلكتا ١٩٠٧ ج ٨ ص ١٤٠
(٢) ابن حجر . الاصابة ج ٨ ص ١٩٣
(٣) ابن خلكان . وفيات الاعيان . بولاق ١٢٩٩ هـ ج ١ ص ٢٨٣
(٤) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٧٦

واسماء بنت سعيد بن زيد القرشية ، اخرج حديثها الدارقطني في العلل . (١) وكذلك اخرج حديثا في العلل لاروى بنت انيس . (٢) وهناك امة بنت خالد بن سعيد بن العاص زوج الزبير بن العوام ، روى عنها سعيد بن عمرو الاشدق . (٣) وذكر ابن حجر عددا كبيرا جدا من الراويات اللاتي روى عنهن الرجال وروين عن رجال في كتابة الاصابة في تمييز الصحابة وخاصة في الجزء الثامن . اما رواية الشعر ، فقد بلغت عند المرأة منزلة مرموقة ، فقد حدثوا ان رجلا من العرب نزل بامرأة من بني عامر ، فلما هم بالرحيل انشد بيتا ، هجا به بني عامر قال :

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر ... من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فسمعته المرأة ، فخرجت اليه وحدثته حتى انس واطمأن ، ثم قالت له : ممن انت ؟ قال رجل من تميم قالت اتعرف الذى يقول :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت

فطفق الرجل ينكر القبيلة التي انتسب اليها ، وينتمي الى غيرها ، وكلما انتسب الى واحدة ، اتته الجارية بهجاء لها ، حتى عد خمسا واربعين قبيلة ، وروت له خمسة واربعين هجاء ، فدهش دهشته منها وولى هاربا . (٤)

وتظهر مثل هذه الروايات رقي المرأة الادبي ، حتى ان الجارية تكيد جارية اخرى عن طريق الرواية فقد تزوج رجل امرأة حديثة ، على امرأة له قديمة ، فكانت جارية الجديثة تمر على باب القديمة فتقول :

وما تستوى الرجلان رجل صحيحة ... ورجل رمى الزمان بها فشلت

ثم تعود
فتقول : وما يستوى الثوبان ثوب به البلى ... وثوب بايدى البائعين جديد

---

(١) ابن حجر . الاصابة ج ٨ ص ٦
(٢) ابن حجر . الاصابة ج ٨ ص ٤
(٣) ابن حجر . الاصابة ج ٨ ص ١٦
(٤) الاصبهاني . محاضرات الادباء ج ١ ص ١٦٥

فتمر جارية القديمة على الحديثة ناشدة :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل . (١)

وتنسب الى المرأة الروايات الادبية الموثوقة ، فقد ذكر صاحب الاغاني خبرا ادبيا ، جعل مصدره على الشكل التالي : " اخبرني الحرمي بن ابي العلاء ، قال حدثنا الزبير بن بكار ، قال ابراهيم بن عبد الله السعدي عن جدته جمال بنت عون " (٢) ثم يأتي على ذكر الخبر .

ومن النساء من الممن بالثقافة الادبية ، حتى فقن اساتذتهن ، فمن اولئك العروضية مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون " التي سكنت بلنسية ، وكانت قد اخذت على مولاها النحو واللغة ، لكنها فاقته في ذلك ، وبرعت في العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر للقالي وتشرحهما ". (٣) وكان ما يدار في المجلس النسائي من حديث ، مثالا للوعي والذوق ، فقد اتى نصيب مكة ، وذهب الى المسجد الحرام ليلا ، فبينما هو كذلك اذ طلع ثلاث نسوة ، فجلس قريبا منه ، وجعلهن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء ، واذا هن من افصح النساء وآدبهن . (٤)

وكانت رواية الشعر تنسب على لسانها ، حتى في وحدتها ، فقد ذكرت السيدة عائشة زوج الرسول " دخل علي رسول الله وانا اتمثل بهذين البيتين " :

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نما
يجزيك او يثني عليك وان من اثنى عليك بما فعلت فقد جزى . (٥)

---

(١) ابن عبد ربه . العقد الفريد . لجنة التأليف والترجمة ج ٦ ص ١٠٢
(٢) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب المصرية ج ٦ ص ٢١٥
(٣) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٧٨
(٤) الاصبهاني . الاغاني . مطبعة دار الكتب المصرية ج ١ ص ٣٧٧
(٥) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب . ج ٣ ص ١٠

وهذان البيتان لورقة بن نوفل

التذوق الادبي : وكان للرواية ان تثمر في نفح المرأة روحا نقدية ، بحيث تتيح لها التمييز بين ما يلقى به اليها من غث الشعر وسمينة ، فتفاضل بين القصائد وتظهر ما فيها من محاسن ومساوىء ، بحسب ما بلغته درجة النقد في عصرها .

ويقال ان اول ما وصل من نقد المرأة للشعر ، نقد ام جندب ، زوج امرىء القيس لشعره وشعر علقمة الفحل ، وذلك حين تنازعا الشعر ، فقال علقمة الصاحبة : " قد حكمت بيني وبينك امرأتك ام جندب ، قال رضيت ، فقالت لهما : قولا شعرا على روى واحد وقافية واحدة تصفان فيه الخيل فقال امرؤ القيس شعرا ، وعارضه علقمة بمثله ، فحكمت لعلقمة ، فقال لها زوجها : باى شيء غلبته فقالت لانك قلت :

فللسوط الهوب وللساق درة ... وللزجر منه دفع اخرج مهذب

فاجهدت فرسك بسوطك ، ومديته بساقك واتعبته بجهدل . وقال علقمة :

فادركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر الرائح التحلب

فلم يضرب فرسه ، ولم يمره بساق ، ولم يتعبه بزجر . (١)

---

(١) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب ج ٨ ص ١٩٥ — ١٩٦ .

وقد نقدت سكينة ايضا قصيدة لعمر. [١] ونقدت كلثم بنت سعد المخزومية شعرا. [٢] وقد وقفت سكينة بنت الحسين ،على عروة بن اذينة ،وكان من اعيان العلماء وكبار الصالحين فقالت له : الست القائل :

قالت وابثثتها سرى وبحت به قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ابقى على بصرى

قال : نعم ،فالتفتت الى جواركن حولها ،وقالت : هن حرائر ان كان خرج هذا من قلب سليم. [٣] وارسل ابن زيدون الى ولادة شعرا ،فكتبت اليه بعد قراءته : "وكنت ربما حثثتني على ان انبهك على ما اجد فيه عليك نقدا ،واني انتقدت عليك قولك :

---

(١) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٣٣٧
(٢) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب المصرية ج ١ ص ٢٠٥
(٣) ابن خلكان . وفيات الاعيان . بولاق ج ١ ص ٢٦٥ .

سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا ، فان ذا الرمة انتقد عليه قوله ، مع تقديم الدعاء بالسلامة:

ألايا اسلمي يا دارمي على البلا ولا زال منهلا بجرعائك القطر. (١)

وحين اتى نصيب مكة ، سمع نساء ينتقدن شعر جميل وكثير ونصيب . (٢)

وقد لا يروقها المعنى ، كما جرى لبثينة اذ لقيت جميلا ، بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته فتعاتبا طويلا ، فقالت له : ويحك يا جميل ، اتزعم انك تهواني وانت الذي تقول :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح

فاطرق طويلا يبكي ثم قال ، بل انا القائل :

الا ليتني اعمى اصم تقودني بثينة لا يخفى علي كلامها

فقالت له ويحك ما حملك على هذه المنى ؟ اوليس في سعة العافية ما كفانا جميعا . (٣)

وعرفت المرأة قدر الشعر ، فباتت تحلم ان تكون ملهمة شاعر ، وقد رأى الاستاذ جبور ان هذا يشير الى مكانة المرأة ، خاصة وان الشريفات من النساء كن يرغبن في ان يذكرن في شعر الشعراء ، كأم البنين امرأة الوليد بن عبد الملك وفاطمة بنت عبد الملك . (٤)

قوة العارضة وبلاغة الاداء

وكانت للمرأة يد طولى في قوة الحجة ونصاعة البيان ، تجبه به الكبراء والعظماء فينقادون لها في اظهار حق او التماس عذر ، وكانت تلك البلاغة تنقذ حتى حياتها ، " فلما خرجت الخوارج بالاهواز ، اخذوا امرأة ، فهموا بقتلها ، فقالت لهم : اتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟ فامسكوا عنها . (٥)

---

(١) المقرى . نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٩٨
(٢) الاغاني . دار الكتب المصرية ج ١ ص ٣٧٧
(٣) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب المصرية ج ٨ ص ١٠٤ — ١٠٥
(٤) جبور . جبرائيل . عصر ابن ابي ربيعة . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٥ ج ١ ص ٨١
(٥) ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٦ ص ١١٨

كما ان البلاغة كانت تحفظ عليها حياة هانئة ، فقد جاء الحسن بن علي الى زوجته عائشة بنت طلحة يقول : " امرك بيدك ، فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك فاحسنت حفظه ، فلن اضيعه اذ صار بيدى ساعة واحدة ، وقد صرفته اليك ، فاعجبه ذلك منها ، وامسكها ."[1] وكانت تحمل كلامها الكثير من الحكمة والمنطق ، من ذلك كلام عائشة الذى رواه الزبير بن بكار ، عن ابيه انه قيل لعائشة : " ان قوما يشتمون محمدا فقالت : قطع الله عنهم العمل ، فاحب الا يقطع عنهم الاجر ."[2] وكانت تقول : " مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق البأس ، واداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع والتذمم للصاحب وبذل المعروف ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء "[3]

وكانت الصراحة تطبع قولها بالاخلاص ، وتمنح جرأتها استقامة وعفوية ، بحيث لم تجد اروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، مانعا يكفها عن الدخول الى معاوية ، وهي عجوز كبيرة ، لتقول له غير خائفة : " لقد كفرت بعدى بالنعمة ، وتسميت بغير اسمك واخذت غير حقك بعز بلاء كان منك ولا من ابائك في الاسلام ، فاتعس الله منكم الجدود ، واصفر منكم الخدود ."[4] وقد فعلت كثيرات غيرها مثل ذلك ، اذ دخلن على معاوية وابديهن فيه رأيهن ، كسودة بنت عمارة .[5] والزرقاء بنت عدى .[6] وبكارة الهلالية .[7]

ويقول محمود مصطفى مشيرا الى تلك الصراحة : " تروعك من النساء جهارة الرأى وصدق اليقين ، حين ترى المتشيعات يجبهن معاوية ، وهو على سرير ملكه ، والحراس من حوله ، بالقول الجارح والتهمة الشنيعة ، ولقد فعلن من ذلك ، ما لم يفعله كثير من

---

(١) ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٦ ص ١١٩
(٢) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ١١
(٣) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ١١ - ١٢
(٤) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ٢٧
(٥) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ٣٠ - ٣٢
(٦) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ٣٢ - ٣٤
(٧) ابن ابي طاهر . بلاغات النساء ص ٣٤ - ٣٩

الرجال ، الذين انقلبوا على معاوية بعد موت علي ، التماسا للدنيا ، واستدرارا للعطاء . (١)

ولم تحجم المرأة عن وضع الامثال ، بحيث يستعملها الناس بعد ها ، ومن الامثلة العديدة التي اوجدتها المرأة التالية :

" في الصيف ضيعت اللبن " وقد صدر عن امرأة الاسود بن هرمز وكانت عنودا ، فرغب عنها الى جميلة من قومه ، ثم جرى بينهما ما داى الى الفراق ، فتتبعت نفسه العنود فراسلها فاجابته: اتركتني حتى اذا علقت ابيض كالشطن
انشأت تطلب وصلنا في الصيف ضيعت اللبن . (٢)

"كسير وعوير وكل غير خير " قالته امامة بنت نشبة بنت مرة ، وقد تزوجها رجل من غطفان اعور ، فمكثت عنده ثم نشزت عليه فطلقها ، فتزوجت من حارثة بن مرة من بني سليم ، وكان اعرج مكسور الفخذ ، فلما راته قالت ذلك :(٣)

وقد ذكر الميداني في كتابه " مجمع الامثال " عددا كبيرا من الامثلة التي صدرت عن نساء ، منها : " لا تعدم الحسناء ذاما " قالته حبي بنت مالك بن عمرو العدوانية . (٤)

" لا عتاب على الحبذل " قالته ملكة كانت بسبأ ، ويضرب في الامر الذى اذا وقع لا مرد له (٥)

" رمتني بدائها وانسلت " قالته احدى نساء سعد بن زيد لضرتها ، وكانت الضرة تشتم النساء بعيب هو فيها ، فلما بادأتها به ، قالته لمن حولها . (٦)

" تخرسي يا نفس لا مخرس لك " اى اصنعي لنفسك الخرسة وهي طعام النفساء . قالته امرأة ولدت ولم يكن لها من يهتم بشأنها . (٧)

---

(١) مصطفى . محمود . الادب العربي وتاريخه مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٠
(٢) الاصبهاني . الاغاني . دار الكتب ج ٦ ص ٢١٥
(٣) الاصبهاني . دار الكتب ج ١ ص ٣٩٣
(٤) الميداني . مجمع الامثال . المطبعة الخيرية ١٣١٠ هج ٢ ص ١٠٩
(٥) الميداني ج ٢ ص ١١٨
(٦) الميداني ج ١ ص ١٩٣
(٧) الميداني ج ١ ص ٨٣

" كل فتاة بابيها معجبة " يضرب في عجب الرجل برهطة وعشيرته . واول من قاله العجفاء بنت علمقة السعدى . (١)

" مرعى ولا كالسعدان " قالته الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، حين اقبلت من الموسم ، فوجدت الناس مجتمعين على هند بنت عتبة بن ربيعة ، وهي تنشدهم مرات في اهل بيتها ، فقالت الخنساء بعد ان رثت اخاها : مرعى ولا كالسعدان ، اى انك دوني في الحزن . (٢)

" ماء ولا كصداء " قالته ابنة هانيء بن قبيصة تحنانا الى زوجها الاول . (٣)

" صفراهن شراهن " قالته امرأة في بناتها . (٤)

" لاعطر بعد عروس " قالته اسماء بنت عبد الله العذرية ، وكان اسم زوجها عروس ، ومات عنها ، فتزوجها رجل اعسر ابخر بخيل ذميم ، فعرضت به فقال لها : ضمي اليك عطرك وقد نظر الى قشوة عطرها مطروحة ، فقالت : لاعطر بعد عروس . (٥)

وهكذا فان الانتاج الادبي النسوى ، على ما لابسه من امتهان ، ومن اعتباره دون ادب الرجل ، ظل ادبا صادرا عن طاقة انسانية ، يلازمه ما يلازم تلك الطاقه من تقصير وما تلتمع فيها من مقدرة ، ظل دليلا على ان الادب ينمو في قلب الانسان وفكره ، دون ان يدرك تمييزا بين ذكر وانثى .

---

(١) الميداني ج ٢ ص ٥٤
(٢) الميداني ج ٢ ص ١٥٢
(٣) الميداني ج ٢ ص ١٥٣
(٤) الميداني ج ٢ ص ٢٦٩
(٥) الاصبهاني . دار الكتب . ج ٦ ص ٣٠٢

لمحة عن حالة المرأة في عصر الانحطاط

حين افل نجم الامة العربية ، بتغلب الشعوب على حضارتها ، تداعى شان المرأة واخذت منزلتها تنحط وتضمل ، فلزمت دارها ، واجتنبت المشاركة في الحياة الصحيحة ، وفجعت بطاقتها الروحية وجعلت همها الحصول على ارضاء الرجل ، بالتزام الطاعة العمياء .

وكانت النساء قبيل الثورة المصرية ، سنة ١٩١٩ محجبات غير سافرات ، ولكن في حالة تشبه الاسر بشدة قيودها ، متروكات في غمرة الجهل راضيات قانعات . فكانت الواحدة منهن " اذا خرجت من منزلها ضلت الطريق ، وحتى بلغ من التفاخر بكمالها والتحدث باحتجابها انها ما كانت تكشف عن وجهها او جسمها لطبيب ، ولو في اشد حالات المرض . (١)

اما معرفتها فكانت ضئيلة هزيلة ، اذ شاع لون من التعليم يساوى الجهل نتائجا ، وهو تعليم الشيخ ، فكان اصحاب البيوت الكبيرة يحاولون ان يقلدوا بيوت الامراء من المماليك ، فكانوا " يعهدون الى الشيخ الذين يتلون القرآن في البيوت ليعلموهن "العلم " وكان هؤلاء الشيخ يختارون في سن الكهولة او الشيخوخة ، ولا يعرفون من شؤون الدنيا شيئا الا فك الخط واستظهار القرآن . " (٢)

وقد ادى الخطأ في فهم الدين ، وتأويله حسب الاهواء والغايات ، الى تدهور حالة النساء ، " فسلم الرجل للمرأة بكل ما نصت عليه الشريعة من الحقوق المادية ، وحرمها من كل حق معنوى ، فاسرها في البيوت والقصور ، ورصد لها العيون الرقباء ، وحرمها من التعليم ، ونزلت مكانة المرأة في العهد العثماني ، عما كانت عليه في العهد العربي درجات . " (٣)

---

(١) خيرت . محمود المرأة بين الماضي والحاضر . مطبعة الشمس . القاهرة ١٩٢٨ ص١٧

(٢) مظهر . اسماعيل . المرأة في عصر الديمقراطية مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٤٩ ص ١٤١

(٣) المصدر نفسه . ص١٠٢

واذ بزغ عصر النهضة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، اخذت ستائر الجهل التي اسدلت فوق امكانية المرأة بالانزياح ، وتبدى وجه التحرر طليقا ، وكان له ان ينير فكر المرأة ، وان يومئ الى مواهبها الراسخة في القيود . وكان للرجل فضله العميم ، في انقاذها من هوة الخمول ، وفي تقويم حياتها الاجتماعية ورفع قيمتها ومعناها .

انصار المرأة في فجر النهضة

نهض انصار المرأة من الادباء والمفكرين ، يأخذون بيدها الى حياة افضل وابهى ، " قام بطرس البستاني والشدياق ورفاعة الطهطاوى وسليم البستاني وشبلي شميل وبشارة زلزل واصحاب مجلات المقتطف والهلال ، ينادون برفع الظلم عنها ، ثم ارتفع صوت قاسم امين في كتابيه " تحرير المرأة و ـ المرأة الجديدة ـ يحث الرجال على تعليم المرأة ورفع الحجاب عنها ، مستندا في اقواله الى تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . (١)

روت مارى زيادة ما يلي : " قال لي احد الصدقاء قاسم امين ، انه اراد ان يهدى كتابه الاول الى سمو الخديوى عباس باشا ، فابى هذا خوفا من الرأى العام ." (٢)

وقد قام بعض المحافظين يناهضون ما جاء به قاسم امين ، فكتب محمد فريد وجدى " المرأة المسلمة "، وهو رد على كتاب المرأة الجديدة .

غير ان الصحافة ساندت المرأة ودافعت عن حقوقها الطبيعية ومن اهم تلك الصحف: " السفور لعبد الحميد حمدى ، التي قامت تنابذ الحجاب وتحض على السفور ، وهناك من

---

(١) نجم . محمد يوسف . القصة في الادب العربي الحديث . دار مصر للطباعة . القاهرة ١٩٥٢ ص ٩٤

(٢) بيهم . محمد جميل . المرأة في التاريخ والشرائع مطبعة ؟ بيروت ١٩٢١ ص ٢٢٨

ناصر المرأة مناصرة علمية كجميل بيهم في كتابيه : المرأة في الشرائع والتاريخ ، والمرأة المصرية والمرأة العربية في التاريخ ومجد الدين ناصف في رسالته تحرير المرأة في الاسلام ، وجرجي نقولا باز في اكليل غار لرأس المرأة . (١)

ومن مناصريها من الاعلام : نقولا فياض وفوزي المعلوف وعساف كفوري وشوقي وحافظ والرصافي والزهاوي وقد كان بين اصحاب الدعوة من تطرف ، بينما عرف البعض الاخر البيئة المحافظة التي درج فيها فخشي عواقب هذه الدعوة في نفوس ابناء وطنه ، ومن هؤلاء حافظ كما في قصيدته :

انا لا اقول دعوا النساء سوافرا ... بين الرجال يجلن في الاسواق
كلا ولا ادعوكم ان تسرفـــوا ... في الحجب والتضييق والارهاق (٢)

بيد ان الصراحة او في ظهورا في قول الزهاوي :

اسفري فالحجاب يا ابنة فهـر ... هو داء فتي الاجتماع وخيـم
هو في الشرع والطبيعة والاذوا ـم ـ ... ق والعقل والضميـر ذميـم . (٣)

اما الرصافي ، فقد لاذ بالامومة ، يستعيد مكانتها السليبة فيقول :

وقد زعموا ان لسن يصلحن في الدنا ... لغير قرار في البيوت وباء
فما هن الا متعة من متاعهـم ... وان صن عن بيع لهم وشراء
اهانوا بهن الامهات فاصبحـوا ... بما فعلوا من الام اللؤماء . (٤)

---

(١) نجم . القصة في الادب العربي الحديث ص ٩٤
(٢) طبانة . بدوي احمد . ادب المرأة العراقية . دار العالم العربي القاهرة ١٩٤٨ ص ١٩
(٣) طبانة . ادب المرأة العراقية . ص ١٩
(٤) المصدر نفسه . ص ٢٠

وقُيِّض للمرأة انصار عادلون من قضاة المجتمع وقادته ، كان في طليعتهم :
" محمد علي علوبة علي زكي العرابي ، محمد حسن العشماوى ." (١) وملأ سامي الكيالي صفحات من مجلته - الحديث - باثار المرأة ." (٢) والقيت الخطب والمحاضرات الداعية الى شد ازرها ، كخطاب الاميرامين ارسلان الذى جعل موضوعه : تأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية وقال فيه : " المرأة عندنا محتاجة الى العلم والتربية ، ونحن نرى فينا من يقول ان العلم والحرية يلحقان بالمرأة ضررا ." (٣) وكتب خليل عساف " المرأة عموما والشرقية خصوصا " قال فيه : " هل اشرفوا سمى واحسن من ان نكون ابناء نساء حكيمات واخوة نساء عالمات واباء نساء متهذبات ." (٤)

ثم نهضت المرأة نفسها ، تنادى بحاجتها الى الاصلاح ، فكتبت نظيرة زين الدين " الحجاب والسفور " و " الفتاة والشيخ " وابدت غايتها من تأليف الاخير قائلة : " ليس في كتابي ادعاء مني كما تزعمون اني اعلم المتقدمين والمتأخرين ، لست الا خادمة لديني ووطني وقومي ، ومدافعة عن حقي وحق بنات جنسي ." (٥) وقامت تندد بعادات المجتمع البالية ، فقالت روزعطا الله شحفة : " المجتمع الان يئن من فتياتنا المتطلبات حياة راحة ورفاهية واسراف ، لذلك قل عدد طالبي الزواج ، ولا سبيل لنا لملامة الرجال ان احجموا عن ذلك المركب الخشن ." (٦)

وغدا موضوع المرأة من الاهمية ، بحيث شغل افكار الكثيرين ، فقال اميل زيدان في ذلك : " ان هذا العصر الذى آلى على نفسه تهديم كل قديم بال ، يمتاز فيما يميزه ،

---

(١) سكاكيني . وداد . انصاف المرأة . مطبعة الثبات دمشق ١٩٥٠ ص٦
(٢) المصدر نفسه ص ١٣٩ - ١٤٠
(٣) ارسلان . امين . المرأة وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية . المطبعة الادبية بيروت ١٨٩٢ ص١٤
(٤) عساف . خليل . المرأة عموما والشرقية خصوصا . مطبعة الهدى نيويورك ١٩٠٤ ص٢٤
(٥) زين الدين . نظيرة . الفتاة والشيخ مطبعة ؟ بيروت ١٩٢٩ ص ٨
(٦) المؤتمر النسائي . مطبعة صادر . بيروت ١٩٢٨ ص ٥٣

بحركتين اجتماعيتين ليس يعرف خطورتهما الا من راقب سيرهما العجيب في الزمن الحديث وهما : الحركة الاشتراكية والحركة النسائية . " (١)

واخذت المرأة في انشاء بنيان ادبي ، كانت المجلات النسائية احدى مآثره ، فزاولت العمل الصحفي ، منذ سنة ١٨٩٢ " فكانت مجلة الفتاة لهند نوفل اولى المجلات ، وانيس الجليس لالكسندرة افرينو (١٨٩٨) والعائلة لاستير مويال (١٨٩٩) والسيدات والبنات لروز انطون (١٩٠٣) وفتاة الشرق للبيبة هاشم (١٩٠٦) والعروس لمارى عجمي (١٩١٠) والعالم الجديد لعفيفة كرم (١٩١٢) والكرمة لسلوى سلامة أطلس (١٩١٤) ومنيرفا لمارى يني (١٩١٥) ونور الفيحاء لنازك عابد (١٩١٦) (٢) .

فمن سنة ١٨٩٢ الى وقتنا هذا ، ظهرت اكثر من اربعين مجلة ، بين القاهرة والاسكندرية ونيويورك ودمشق وسان باولو وبيروت وزحلة وبغداد وحلب وطرابلس وغيرها من البلاد . " ومن الوفاء الاشارة الى بلسم عبد الملك ، صاحبة مجلة المرأة المصرية ، وكانت من المجتهدات الدائبات ، ومن اوائل من انشأن المجلات لوبزة حبالين ، والكسندرة افرينو ". (٣)

وانشأت سليمة ابو راشد (فتاة لبنان) نجلة ابو اللمع (الفجر) (٤) وانشأت حبوبة حداد (الحياة الجديدة) . (٥)

وساهمت المرأة في الحركة الادبية ، وولجت مسالك الشعر والنثر ، فاثبتت وجود قابلية مرهفة واثارت بمقدرتها انتباه ابناء جيلها ، فحفظوا لها المنزلة السامية ، وكاد بعضهم يفضلها على نساء العصر الغابر ، من اولئك سليم رحمي الذى قال : " قد ينتج العصر

---

(١) ماريون . هنرى . خلق المرأة . مطبعة الهلال . مصر ١٩٢٤ ص ٥
(٢) نجم . القصة فتي الادب العربي الحديث ص ٩٥ — ٩٦
(٣) فهمي . منصور . محاضرات عن مي زيادة مطبعة ؟ القاهرة . ١٩٥٤ ص ٥٢
(٤) بيهم . المرأة في التاريخ والشرائع ص ٢٣٠
(٥) المصدر نفسه ص ٢٣٩

الواحد واحدة لهانبأ عظيم ، وقد سمعنا بمن سارت عنهن الرواة في العصور الاولى ، ورأينا من مآثرهن شاهدا عدلا ، بان لهن اليد الطولى ، الا اني اقول ، ان من تقدم من النساء ، اقل فضلا ممن يظهرن في مثل هذا الزمان ، فان وجودهن بين احياء العرب ، ساعدهن على قوة الملكة وانطلاق لسان البيان ، وكان استعمال فصيح اللغة العربية مالوفا عند الجمهور ، ونظم الشعر اذ ذاك يعد من محاسن الامور ، فاما الان وقد خيم الجهل ، وطمست معالم اللغة ، فمن تظهر من النساء بتجديد ، تستحق المقام الاول في الفخر ، وتنفر بحسنات وجودها ، سيئات العصر . (١)

الشاعرات في عصر النهضة :

لم تسخر المرأة مواهبها الادبية في دفع الحياة الاجتماعية قدما ، مثلما سخرتها في عصر النهضة ، فقد استلهمت واقعها المرير ، وطبيعة عيشتها القاحلة ، فتذمرت منها ورجب نضالا ينقذها من ربقة الجمود ، ورأت في الادب مخلصا اريبا ، يكم افواه متبطي عزيمتها ، ولعل في قصيدة عائشة التيمورية . (٢) من الدعوة الملحة الى رفع القيد عن النساء ، ما يوازى مجلدات تخطها انامل المصلحين :

بيد العفاف اصون عز حجابي ... وبعصمتي اسمو على اترابي
ولقد نظمت الشعر سيمة معشر ... قبلي ذوات الخدر والاحساب
فجعلت مرآتي جبين دفاتري ... وجعلت من نقش المداد خضابي
ما عاقني خجلي عن العليا ولا ... سدل المنار بلمتي ونقابي . (٣)

ورأت المتشوقات الى المجد ، في سمات الادب ما يروق ، فغبطت احداهما الاخرى

---

(١) محمد . محمود . الشعر النسائي العصري وشهيرات نجومه مطبعة دار الترقي مصر ١٩٢٩ ص ١٢

(٢) ولدت بالقاهرة ١٨٤٠ كانت شاعرة كاتبة لها ثلاثة دواوين احدها بالتركية والاخر بالعربية سمته حلية الطراز

(٣) التيمورية . عائشة . حلية الطراز مطبعة السعادة مصر سنة ؟ ص ٣

ووجدت فيها مثيلا قويما ، فخاطبت وردة اليازجي . [1] عائشة التيمورية قائلة :

وعلام لا اهوى علاك وما الذى ... بهواى فيك ترى يقول عذولي
انت الفريدة في النساء فكيف لا ... اهوى حبيبا بات دون مثيل . [2]

وتقول لها ايضا :

لتيمورية العصـــــر المحلى ... بملء نسجت يداها كـل حقب
اديبة معشر شـــرفت اصولا ... وسادت بين اقلام وكتـــب . [3]

و خاطبت وردة اليازجي ، وردة الترك مباهية ، حافظة قدر مخاطبتها :

يا وردة الترك اني وردة العرب ... فبيننا قد وجدنا اقرب النسب
اعطاك والدك الفن الذى اشتهرت ... الطافة بين اهل العلم والادب
فكنت بين نساء العصر راقيـــة ... اعلى المنازل في الاقدار والرتب. [4]

واشادت باحثة البادية — ١٨٨٦ — "صاحبة النسائيات " بعائشة التيمورية بعد موتها قائلة:

لقد احييت ذكر نسـاء مصـــر ... وحددت العلا بعد انقطـاع
وشدت صروح طهـــر باذخـات ... محصنـــة كتحصين القـــلاع. [5]

وظهرت في ادب الشاعرات ، وشائج الصلة بين انتاجهن ومشاكل العصر ، فباحثة البادية تتذمر من الحجاب قائلة :

افتطلبون من الفتاة سفورهـــا ... حسن ولكن اين بينكم التقـــي
لا تطفروا بل اصلحـوا فتياتكـم ... وبناتكم وتسابقوا للاليـــــق
ارضيتم عن كل شيء عندنا ... وخشيتم امر القناع اذا بقـــي . [6]

---

(١) ولدت في كفرشيما ١٨٣٨ — لها ديوان حديقة الورد
(٢) محمود . محمد. الشعر النسائي العصرى . ص٨
(٣) فهمي . محاضرات عن مي ص ٥٠
(٤) محمود . الشعر النسائي العصرى . ص ٧
(٥) محمود . الشعر النسائي العصرى . ص ٣٢
(٦) فهمي . محاضرات عن مي زيادة ص ٧٧

وهي لا تكتفي بهذا ، بل لا تكاد تخرج قصيدة احمد شوقي عن المرأة ووضعها الاجتماعي التي مطلعها :

صداح يا ملك الكنار ... ويا امير البلبـل

حتى ترد باحثة البادية عليه ، بقصيدة تظهر فيها اعتدالها ازاء موجة التناحر بين المصلحين ، تقول فيها :

والقيد ذل لو يكـو ... ن خلا خلا في الارجل
مجد الفتاة مقامهـا ... في البيت لا في المعمل
من للوليد يعينـه ... في لبسه والمأكل
لكن اذا دعت الضرو ... رة للخروج فحيهـل
سيرى كسير السحب لا ... تأتي ولا تتعجلي
وتنكبي نهج الزحـا ... م وفضلي النهج الخلي
ليس النقاب هو الحجا ... ب فقصري او طولي . [1]

ولباحثة البادية قصيدة عند نشر قانون المطبوعات سنة ١٩٠٩ مطلعها :

يا امة نثرت منظومها الغير ... حتام صبر ونار الشر تستعر
ماذا تقولون في ضيم يراد بكم ... حتى كانكم الاوتاد والخمر. (٢)

ولزينب فواز في تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه سنة ١٩٠٥ :

عيد الجلوس على سعد السعود علا ... وغيهب النحس عنا شط وارتحلا
ويومه زاد في الافلاك بهجتهـا ... وزينت مصر حيث البشر قد شملا . (٣)

ولوردة اليازجي ، تاريخ بانشاء احدى الجمعيات الخيرية في بيروت سنة ١٨٧٦ :

---

(١) فهمي . محاضرات عن مي زيادة ص ٧٥ — ٧٦
(٢) محمد . فتحية . بلاغة النساء ص ٢١
(٣) محمد . فتحية . بلاغة النساء ص ١١٩

جمعية خيرية بنيت على ... حب الفقير لكي تخفف كربه
دعيت بحسب الحق انجلية ... فاساسها الانجيل تجرى حسبه . (١)

ولوردة اليازجي ايضا ، عند مقدم نائلة سلطان شقيقة السلطان عبد الحميد الى بيروت :

يا ثغر بيروت البهيج تبسم ... وبحمد خالقك الكريم ترنم
اليوم زارتك المليكة فاكتست ... شرقا ربوعك بالطراز المعلم . (٢)

وكان حب الوطن ، حب الشرق كله ، يلتزم مشاعر الاديبة ، فلا ترى في غيره جمالا ، فتقول زينب فواز : (٣)

للشرق فضل في البرية انه ... ياتي الوجود بكل حسن معجب
والغرب اظلم ما يكون لاننا ... نشقى بفرقة شمسنا في المغرب . (٤)

ولم تقف الشاعرة عند التزام مشاكل عصرها ، بل ان طبيعة الادب ، بما ينتابها من حدة عاطفة وثلون مزاج ، كانت تنصع في انتاجها الشعرى .

وقد اقتحمت الشاعرة الغزل ، واذا اخذنا بعين الاعتبار جمود العصر وشدة قيوده ، بان ما كان لقول الغزل من حاجة قصوى الى الجرأة ، التي لم تعوز التيمورية اذ استأثر الغزل بنحو نصف ما نظمت ، ولم تقف حائلا دون اليازجية التي رأت في نسيب التيمورية ما يستدعي النهج على منواله ، فتقول لها :

علمتني قول النسيب وهجت بي ... ما هاج حب بثينة بجميل

فتقول التيمورية متغزلة :

---

(١) محمد . فتحية . بلاغة النساء ص ١٧
(٢) المصدر نفسه . الصفحة نفسها
(٣) ولدت سنة ١٨٦٠ في قرية تبنين ضمن صيدا ، وفي العاشرة اتت الاسكندرية . لها ديوان لم يطبع بعد .
(٤) محمد . فتحية بلاغة النساء ص ١١٦ - ١١٧

صب لقربك بالحياة يجود — اني له بعد البعاد وجود
يا فتنة ما لامني فيه امرؤ — الا راى ما كان منه يحيد
قد صار مثل العهن قلبي بالاسى — واظن ان القلب منك حديد . (١)

وقال ايضا :

لله قوام انحفنـــي — برشاقتـه اضعفنـي
وحسام لحاظ اتلفني — اترى منه من ينصفنـي
اذ ضيـع صبرى فيه هبا . (٢)

وتقول زينب فواز:

جمعتني يوما والحبيب منازل — وتعطف الدهر الذى هو باخل
وغدا يعاطيني مدام حديثه — واللحظ بالسحر الحلال يغازل . (٣)

وتقول ايضا :

لا زال قلبي مدى الايام خفاقا — وبدر حسنك يجلو العين اشراقا
نور تجلى على الارواح منفردا — حتى جلي منه في الاحشاء احداقا . (٤)

ووجد الشعر في عواطف الثكالى والمفجوعات ، ينابيع ثرة ملأة دنياه خصبا ، وجعلته يسرى بثورة بائسة مهزومة امام الموت . فعائشة التيمورية في مرثيتها لابنتها الشابة توحيدة ، تبدع شعرا رفيعا ، بحيث " يفرض على تلاميذ المدارس ، ليستوعبوه في ذاكرتهم كمثل للشعر الصادق . (٥) منه :

اماه قد عز اللقاء وفي غد — سترين تحشي كالعروس يسير

---

(١) التيمورية . حلية الطراز ص ٥٠
(٢) التيمورية . حلية الطراز ص ٥٧
(٣) محمد . فتحية . بلاغة النساء ص ١٥٧
(٤) المصدر نفسه ص ١٥٦
(٥) فهمي . محاضرات عن مي . ص ١٣

صوني جهاز العرس تذكارا فلي — قد كان منه الى الزفاف سرور
والقبر صار لغصن قدى روضة — ريحانها عند المزار زهور . (١)

ووردة اليازجي تبكي ابلها الشيخ ناصيف بما يروع ويؤلم :

ايا قلبي المكسور لم لم تذب اسى — لفقد الذى في حجره لم تذق كسرا
فياليت كلي اعين تذرف الدما — ويا ليت كلي اكبد تفقد الصبرا . (٢)

وامينة نجيب (٣) ترثي ولديها بتفجع :

ذهبا وقد غنم الممات واقفرت — روحي من الانغام والاحلام
ابكيهما عمرى ، وبعد منيتي — يبكيهما شعرى اليتيم الدامي . (٤)

كذلك طرقت الشاعرة باب الحكمة ، فقالت زينب فواز متأملة :

اخذت طريق اليأس والصبر منهجا — لعلي من سقمي ارى اليوم مخرجا
ولكن رأيت الصبح يزرى به الدجي — فايقنت ان لاخل في الكون يرتجى
من الناس حتى كدت ارتاب في نفسي . (٥)

وقالت التيمورية :

لا تفرحن بدنيا اقبلت وصفت — بكل ما ترتضي واحذر عواقبها . (٦)

وقالت ايضا :

ان الدهاة وان ابدوا بشاشتهم — فلا تقل بغرور فاتني الغضب
فكم بحلو شراب سم مقتله — والاسد تبسم اذ يبدو لهد العطب. (٧)

---

(١) التيمورية ، حلية الطراز ص ١٨
(٢) محمد ، فتحية ، بلاغة النساء ص ١٩
(٣) كانت محسنة رحيمة ، كما كانت اية في الذكاء والادب ، وكانت تجيد التركية ولها فيها نظم بارع .
(٤) محمود ، الشعر النسائي العصرى ص ٢٣
(٥) محمد ، فتحية ، بلاغة النساء ص ١١٨
(٦) التيمورية ، حلية الطراز ص ٤٠
(٧) المصدر نفسه الصفحة نفسها

كما انها اخرجت شعرا في الابتهالات والتصوف، وبلغ من شعرها بالثقة فيما تنتج، انها لم تحجم عن معارضة البردة، تلك التي اكتفى شوقي بالنهج على منوالها، فقالت التيمورية :

اعن وميض سرى في حندس الظلم ... ام نسمة هاجت الاشواق من اصم
فجددت لي عهدا بالغرام مضى ... وشاقني نحو احبابي بذى سلم
محمد المصطفى مشكاة رحمتنا ... مصباح حجتنا في بعثة الامم
يا خير من ارتجى ان لم تكن مددى ... وازلتي يوم وضع القسط واندمي . (١)

كما ان تلك الثقة بنفسها، حدث باحثة البادية، ان ترد على قصيدة شوقي التي مطلعها :

صداح يا ملك الكنار ... وفا اميـر البلبـل

فتجيب موجهة الكلام الى فتاة :

يا هذه لا تعذلي ... واذا ابيت فقللي . (٢)

وتفتن الشاعرة ملامح الطبيعة، فتقول اليازجية :

تبسم الزهر في بستانه النضر ... لما سقته الغوادى بارد المطر
وصفق النهر يجرى في جوانبه ... فغرد الطير يحكي نغمة الوتر
وقام يرقص فيه الدوح من طرب ... وقد ثنت معطفيه نسمة السحر. (٣)

وخاطبت امينة نجيب عصفورا :

لوح صغير الطيور ... واقفز هنا لاتبال
انا نعدك منا ... بل واحد الاطفال
كم وثبة لك كانت ... تحية للجمال
عبرت فيها فصيحا ... عن حبك المتعالي . (٤)

---

(١) التيمورية . حلية الطراز ص ٤ - ٥
(٢) فهمي . محاضرات عن مي . ص ٧٥
(٣) محمود . الشعر النسائي العصرى ص ٩ - ١٠
(٤) محمود . الشعر النسائي العصرى ص ٢١

كما انها خاطبت نخلة منفردة :

في عزلة مثلي اراك وانما ... لم تيأسي مثلي من الصحراء
ما زلت واهبة لتمرك والالى ... ذا قوه ما منحوك بعض ثناء
وبرغم وحشة عزلة اوحاجة ... تترنحين بنشوة ورجاء
يا ليت لي صبرا كصبرك اومنى ... كفناك اوعلما بسر هناء . (١)

المنشئات في عصر النهضة :

التزمت الاديبة مشاكل عصرها في ابحاثها النثرية ، واخذت في مجاراة قالب العصر اللغوى ، فاكثرت من السجع والمحسنات البديعية ، وانضمت الشاعرات الى الناثرات في ايجاد ادب نسوى ، كان له كريم الاثر في الرقي الروحي والاجتماعي للمرأة .

فملك حفني ناصف ، تطل في النثر مصلحة ، تطوف منازل صاحباتها تقنعهن بارسال بناتهن الى المدرسة تحت مراقبتهن الخاصة ، بحيث تطنب في مدحها - شرلوت كمرون - و - اليزابث كوير - "وتقدم اليها الكاتبة الاخيرة كتابها (المرأة المصرية) وقد عدلت فيه عن كثير من ارائها عقب مناقشات شخصية بينها وبين الباحثة" . (٢)

وجعلت ملك حفني ناصف كتابها "النسائيات" عن المرأة المصرية ، التي كانت تتألم من اجلها اذ تراها في ذل الجهل والخمول ، وحاولت ان تكون ابدا في جانبها ، مسايرة خطة الاعتدال في دفع الارهاق عنها ، فمن قولها : " ان حبس المرأة المصرية تفريط بحرية الغربيين الان افراط ، ولا اجد اصلح ما نعتبر منه ، الا حالة المرأة التركية الحاضرة ، فانها وسط بين الطرفين ، ولم تخرج عما يجيزه الاسلام ، وهي مع ذلك مثال الجد والاحتشام ." (٣)

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٢
(٢) محمد . فتحية . بلاغة النساء ص . ٢
(٣) ناصف . ملك حفني . النسائيات مطبعة الجريدة . القاهرة ١٣٢٨ هـ ص ١٠٩

وقد حاربت بدع التمدن ، المودية الى الانهيار الخلقي ، فكتبت موضوعا عنوانه جمال المرأة يضيعه التبغ والخمر . قالت فيه : " الله اكبر ! ما جمال المرأة المعنوى الا في عفتها وودا عتها ، والتبغ مذهب لتلك الوداعة ، مخل بصفائها ، الرجل ابشع ما يكون حين يسكر ، والمرأة ابشع ما تكون حيت تشرب الخمر ، وقد سرى هذا الداء العياء بين الطبقات العالية من النساء ، بدعوى انه من كماليات التفرنج ". (١)

كذلك لزينب فواز في نثرها ، ما لا يقل عما في شعرها من توخي الاصلاح ، خلال النقد الموجه تقول في احد ابحاثها : "والمرأة اذا كانت غير متزوجة ، لا تدرى ما يتكبده المتزوجات من المصاعب ، وحتى انها اذا نقل اليها خبر من اخبارهن ، هزئت به وظنت انه من سوء تصرف المرأة المتزوجة ، وعدم سياستها مع زوجها ، بما يجلب حاسته نحوها ولم تعلم ان المعدن الخبيث لا يؤثر فيه الثقل والصقل ، فلا يلبث ان يرجع الى اصله ، وتود لو انها تزوجت باى رجل كان ، خير لها من ان تعيش عزباء ."(٢) وقد وضعت زينب فواز بعض القصص ايضا ، منها " - كورش ملك الفرس - و - الهوى والوفاء - وحسن العواقب اوغادة الزاهرة . " (٣)

ولعائشة التيمورية ابحاث نثرية ، تطنب في مدحها فتحية محمد ، مع انها دون شعرها فيما يتخللها من تكلف واعمال ، فمن نثرها ، رسالتها المسماه التأمل في الامور تقول فيها : " لعلي استظل بواد طاب غراسا وزكى انفاسا ، ونمي بالاصلاح انفاسا ، واورق بالفلاح افنانا كشف النقاء عن ساق اشجاره وحلت مذاقا حلاوة اثماره ، يميل لنضارته كل غريب وقريب ، ويعشق بهجة منظره كل غبي واريب ". (٤)

---

(١) ناصف ، النسائيات ص ٨٩ - ٩٠
(٢) محمد . بلاغة النساء . ص ١٣٧
(٣) نجم . القصة في الادب العربي الحديث ص ١٥٩
(٤) محمد . بلاغة النساء ص ٩٤

وكذلك كتبت لبيبة هاشم صاحبة مجلة فتاة الشرق ، فيما يهم مجتمعها ، فمن ابحاثها : " واني لاجد للمقامر عذرا ، اذا قصر عن تصوير حال قرينته ومقدار شقائها ، متى كان مكبا على مائدة القمار ، تاركا اياها بين ايدى الهواجس ، تستعد لما سوف ياتيها من الخسائر والاضرار ، بل لا الومه اذا بهره بريق الاصفر الفرار ، فلم يفطن الى ان تلك جناية يجنيها ، وودیعة لاولاده يتصرف بها ، ولكني اعجب به وبمناقبه الشريفة كيف تجيز له الاندفاع في هذه الخطة المغايرة ، وتبيح له سرقة الغير على تلك الصورة التي يسمونها المقامرة ". (١) وعالجت لبيبة هاشم كتابة القصة الاجتماعية لهذه الفترة فكتبت قصة قلب الرجل ، التي يعدها الاستاذ محمد نجم ، من طليعة القصص الاجتماعية في وقتها فيقول " اهتمت بتحليل العواطف تحليلا غير سطحي ، كما حاولت تصوير الصراع الداخلي والحياة الباطنة للشخصيات ، وقد وفقت في معالجة العواطف العميقة ، واسلوبها جميل متقن ، وهو من اجمل الاساليب القصصية لهذه الفترة . (٢) كما انها عالجت القصة التاريخية ، فكتبت شيرين وصورت فيها ظلم الملوك وجو الرعب والفزع الذى يحيط بهم . (٣)

وكذلك تنحو فردوس توفيق منحى اجتماعيا في ابحاثها ، فمن نثرها رحلة بين القبور ، تذم فيها وضعية القبور واستعمال الناس لها اماكن للهو ، في مطلع القرن ، فتقول : " قبل الخوض في هذا الموضوع ، يجب علي ان اقارن ما عليه مقابر الافرنج ، وما هي عليه مقابرنا ، ليظهر لك جليا ، الفرق الهائل والبون الشاسع ، كم من مجوم اثيم فر من وجه العدالة ولاذ عندهم . كم من لصوص عاتية اختبأوا في هذه المدافن ، حتى اذا جن الظلام ، خرجوا للسلب والنهب وعاثوا في الارض فسادا . (٤)

---

(١) محمد . بلاغة النساء ص ٩٨
(٢) نجم . القصة في الادب العربي الحديث . ص١٥٨
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٧
(٤) محمد . بلاغة النساء ص ١٣٢

وهناك انيسة الشرتوني (١٨٨٣) وعفيفة الشرتوني (١٨٨٦) اللتان ولدتا في بيروت، وعينتا بادب المقالة، فمن مقالات انيسة "المتنبي"، "والبهاء زهير"، "وفصل الخطاب في الرجل والمرأة" ومن مقالات عفيفة "قراءة الصحف"، "طرق السفر". تقول عفيفة من مقال لها بعنوان مجلس النساء " ليس علينا نحن النساء نكير، ان يدور الحديث في مجالسنا على انواع الحلي من خواتم واسورة وحلق، او على ما درج من الازياء وما بطل، كما لاحرج علينا في الكلام في اثاث البيوت، ومفروشاتها، او في الخطبة والزواج والجهاز، لكنما نحن النساء انفسنا نمتعض من المفاخرات بما لا يجلب لهن فخرا، بل ربما يجر عليهن امتهانا، كأحاديث التنزه والسهرات والرقص مع الرجال." (١) وهناك ايضا الاميرة الكسندرة دي فرينو، التي ولدت في بيروت ونزلت الاسكندرية وانشأت مجلة انيس الجليس، وجعلت تدافع فيها عن المرأة، وتناضل عن حقوقها كما ان لها رواية تمثيلية عنوانها "امانة الحب"، ورواية اخرى قصصية عنوانها "شقاء الامهات". وقد اتت ابتهاج قدورة على ذكر بعض اعلام الادبيات، ممن كان لهن اثر في النهضة الادبية مثل " مريانا مراش وهي اول سورية كتبت مقالا في جريدة ". (٢) وذكر نقولا بازان " لها ديوانا بعنوان بنت فكر". (٣) وسارة ثابت هلك مؤلفة كتاب "في علم الجغرافيا" وهند عمون مؤلفة "تاريخ مصر" وهو الذي درس في المدارس الاميرية المصرية، وسليمة ابي راشد واضعة الروزنامة السليمية وهي تقويم يدوم مئة عام. (٤)

وقد ذكر جرجي نقولا بازعددا ممن خدمن الامة بادابهن قائلا : " خادمات الامة بمعارفهن، وادابهن عديدات، من زينب فواز الى عفيفة كرم بينهما هنا كوراني، فريدة عطية، لبيبة صدقة، رحمة صروف، هند عمون، بتسي تقلا، سليمة ابي راشد،

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٦
(٢) المؤتمر النسائي عام ١٩٢٨ ص ٨٣
(٣) باز. جرجي نقولا. اكليل غار لرأس المرأة. مطبعة القديس جاورجيوس بيروت ١٩١١ ص ٤٢
(٤) المؤتمر النسائي ص ٨٣

والمريمات نوفل ، كاريوس خالد ، ومعززات شان المرأة لا يمكن احصاؤهن . (١)

لعلنا يمكن لمتتبع ادب المرأة في تلك الفترة ، ان يضع يده على الخطوط البارزة التي عاد بها ادب النساء على المجتمع العربي ، من حيث تركيزه الجهد على السير بالامة صعدا ، اذ كانت تلك الفئة الناهضة ، من القلة في كميتها بحيث ضاع صوتها بين ملايين الاصوات النسائية الخاملة . واذا اخذنا بعين الاعتبار ماهمية البيئة في اعداد ذوى النزعات الفنية ، كان لنا ان ننظر الى اديبات فجر النهضة بعين ملؤها الاكبار فقد مارسن الادب تلبية لدوافع فردية ، وصهرن جهودهن في قالب عام ، دون ان يلمسن تشجيعا ظاهرا .

ويتسم ادب النهضة النسوى باصالة الاداء ، وبمعالجة الامور الاجتماعية والسياسية ، وبندرة التطرق الى المواضيع الخاصة ، وكأن الاديبة احست بدقة مركزها فحرصت على تجنب الافصاح عن شعورها مخادمة بذلك نهضة الكثرة من بنات جنسها ، اذ رأى القائمون على امر المرأة ، في تحفظ تلك الفئة ما دفعهم الى تعليم نسائهم ورفع شأنهن وهكذا جاء الانتاج النسوى ، يساير اتجاهات العصر في اللغة والقالب واسلوب التفكير ويحفظ طابعا نسويا ، تهيمن عليه الرقة في الشكوى والعفة في النجوى ، والاعتدال في التظلم .

وكان للاديبة ان تضحي بالاتجاه الفني في انتاجها ، فكان خلوا من الابتكار ، بعيدا عن اظهار خصائص المرأة ، بقدر ما كان حريصا على البروز بصبغة ادب الرجل في ادائه واتجاه اغراضه وقد كان ادب الرجل في فجر النهضة توجيهيا ملتزما ، ولعلها نجحت في رسالتها تلك نجاحا طيبا ، كانت ثمرته تهيئة جو جاد على المرأة بالعلم ، ومنح وجودها قيمة جديدة ، ونهض ينتظر فيض النور ، فكانت مي زيادة شعاعة الاول .

---

(١) المصدر نفسه ص ٣١

مي زيادة

(١٨٨٦ ـ ١٩٤١)

من تكون هذه التي اجمع على مقدرتها الكبراء والشعراء ، ولهج بثنائها الادباء ، والتي الهمت روائع الشعر والنثر ، واذكت الهم الادبية ، فتبارى امامها ذوو الفكر والفضل هذه التي يجزم فيها عباس محمود العقاد قائلا : " ما عرفت العربية كاتبة افضل منها واقدر واجلى " .(١) والتي يقول عنها مارون عبود : "انها ربة البند والعلم ، ويحق يعقد لها اللواء في ادبنا النسائي الحاضر والغابر " .(٢)

من هي تلك القمة السمحة التي تقول بتواضع النفس الكبيرة : " اتمنى ان ياتي بعد موتي من ينصفني ويستخرج من كتاباتي الصغيرة المتواضعة ما فيها من روح الاخلاص والصدق والحمية والتحمس لكل شيء حسن وصالح وجميل ، لانه كذلك لا عن رغبة في الانتفاع به ".(٣)

مشاهد من حياتها

ولدت مارى زيادة ، في ناصرة فلسطين في الحادى عشر من شباط سنة ١٨٨٦ . اسم ابيها الياس زيادة ، وهو لبناني جاء الى الناصرة ليعلم في احدى مدارسها الابتدائية، فتعرف الى امها نزهة معمر ، وكانت ذات ذوق ادبي ، تحفظ ديوان ابن الفارض وكثيرا من الابيات الشعرية . وقد استأثرت مارى منذ طفولتها بعناية والديها ، اذ انها كانت وحيدة بعد ان فقدت اخا لها لم يعش طويلا ، فلم تحجم امها عن القول يوما باعتزاز : "ان من ينجب ميا ، لا ينجب غيرها . " (٤)

---

(١) العقاد . "الرسالة" . السنة التاسعة المجلد ٢ عدد ٤٣٥ ص ١٣٣٥
(٢) عبود . "المكشوف" . المجلد الثامن عدد ٣٣٨ ص ٤
(٣) زيادة . مي ، رسائل مي . دار بيروت ١٩٥٢ ص ٤٠ـ٤١
(٤) جبر. جميل . مي في المضطربة . دار بيوت ١٩٥٣ ص ١١٢

في السادسة من عمرها ، التحقت بمدرسة الراهبات اليوسفيات في بلدتها ، ولما غدت في الثالثة عشرة ، ارسلها ابواها الى مدرسة الزيارة في عينطورة ، حيث نقف على سيرة حياتها عن يومياتها التي نشرتها يوما بعنوان يوميات عائدة ، وفيها تبدو انفعالاتها الروحية المبكرة التي تميزها عمن كن في سنها ، وتفصلها عن عالم القيود والنظام الذى تفرضه المدرسة .

كتبت في ذلك تقول : " ما معنى هذه التقلبات وهذه الحاجات ، وهذه الانظمة المتولدة ابدا هنا وهناك في وفي غيرى ، ونحن نراها شيئا طبيعيا وان آلمتنا واسخطتنا ، ما بالنا هنا ؟ وما هو هنا ؟ أمدرسة ؟ وما نفع المدارس ، ولاى شيء وجدت ؟ " (١)

وفي تلك الفترة ، غرست بذور كابتها ، فلا يكاد عيد الميلاد يدنو وتعود رفيقاتها الى بيوتهن حتى تهرع الى البيانو ، تمسه باصابعها ثم تسحبهما عنه قائلة : " ما اشد برد البيانو ، بل البرد في يدى ، البرد في روحي ، البرد في وحدتي وغربتي ، اني جليد ولكني جليد يتعذب " . (٢)

وترعرع ايمانها في جو الراهبات التقيات ، فخاطبت ربها تقول : " اومن بألـه واحد ! نعم يا الهي اومن بانك واحد لا اله الا انت ، وانك انت خالقتنا ، وانك صالح وان الحياة جميلة . " (٣)

وهذا البعاد عن الناصرة ، يفجر حنينها اليها ، فتخاطبها موجعة : " لقد كنت لي مدينة الازاهر العذبة ، ومجال التنعم باطايب الاوقات في وجودى ، غير انني ويا للاسف ، سابتعد عنك ، سابتعد عن اكوام غيومك وعن كواكب ليلك ، لن ارى بعد

---

(١) زيادة . مي . ازاهير حلم . دار بيروت ١٩٥٢ ص٣٦
(٢) زيادة . ازاهير حلم ص٤٤
(٣) المصدر نفسه ص ٤٢

المنازل الدافئة التي احتفظت ببسمات صباي وامالي واحلامي " . (١)

ويستحوذ جمال لبنان على نفسها ، فتشعر بحاجة الانتساب اليه فتخاطبه حين تفارقه : " اه لكم يعتريني من الحزن ، عندما يحجب الضباب البحرى ظلال الجبال البعيدة ، ويغشاها البحر الازرق فتختفي عن عيني ، اني لاجهل لماذا يشق علي الابتعاد عن لبنان ، انه وطني والطبيعة فيه عذبة والمناظر خلابة " . (٢)

وتجمع في شخصيتها من عناصر التحبب ، ما يجعل صديقاتها يلتففن حولها اذا مرضت ، ويغدقن عليها الثناء ، ويتعدى الاعجاب بها الى القائمين على امرها ، فلا يكاد المرشد يراها ، حتى يبتسم في وجهها الانيس ، ويسألها عما تشكوه ، فلا تعلم سبب تعبها ، فيقول لها مفسرا : " هي المخيلة ، المخيلة الحادة النشيطة التي تتعب صاحبتها . " (٣)

وفي سنة ١٩٠٤ تغادر مارى مدرسة عينطورة في لبنان ، حيث ارهف الجو الخصب مشاعرها وتعود الى الناصرة لتعيش في شبه وحدة . وقد تريث منصور فهمي في بحثه عن مي ، عند ذكر الناصرة وعينطورة ، مبديا اثرهما الكبير في تكوين مي الادبية قائلا : " جو ديني مسيحي تلقفها من مكان لمكان ، وجو مليء بالجمال الطبيعي احاط بها من كل ناحية ، وجو للتحصيل العلمي المتين يجثو بها في صرامة وقوة ، وجو للتدليل والاعزاز ، لانها كانت وحيدة ابويها وكانت ذكية وبهية ، وان ذوات الذكاء والبهاء يكون من نصيبهن التدليل والاعجاب ، وكل ذلك يدخل في صميم تكوين الادبية الكبيرة في حياتها . " (٤)

فقد كانت الناصرة بالنسبة اليها ، مرتعا روحيا طليقا ، جليل الاثر في نفسها ، بحيث تذوب لها شوقا ، كلما ذكرت " الاشياء الضئيلة التي كلما رأيتها افتكرت بها ، وافتكرت

---

(١) زيادة . ازاهير حلم ص ٤٦
(٢) المصدر نفسه ص ٧٧
(٣) المصدر نفسه ص ٤٠
(٤) فهمي . منصور محاضرات عن مي زيادة . جامعة الدول العربية ١٩٥٥ ص ١١٢

بتلك الصلة الوثيقة المقدسة التي تشد روحها الى روحي " . (١)

اما لبنان ، فقد احبت فيه تلك العطل الصيفية التي قضتها في ربوعه ، بعيدة عن قيود الانظمة المدرسية ، وليس لها من يصحبها في جباله ا هائمة ، سوى كتبهـــا وكانت تأنس الى تلك الصحبة اكبر الايناس : " انا وحدى في الغابة منذ ساعتين ، وحدى مع بيرون شاعر العنف والعذوبة ، بينما كنت اقرأ ، كان دفترى على مقربة مني ، والان وقد انشأت اكتب ، فان شيلد هرولد ملقى عنذ قدمي . " (٢)

وتعزو مـي الى لبنان ، تكيفاتها النفسية ، تعزو اليه الهامها ومزاجها المرح الكئيـــب :

من انفعال طبيعتك وغناها

جاء كل ما في من غناء وتنوع

وهمس ارواح النبات والاغراس في الرياض والاحراج

لقنني مجهول الاحاديث ، واوحي الي مكتوم الاسرار

وذا عذرى اذا ما ظهرت يوما على غرارة وطرب ومرح واغتباط

وكنت طورا حزينة ساهية وسني ، كطير يحلم عند ضفة الغدير . (٣)

وهكذا يتناهب كل من لبنان وفلسطين قلبها ، ولا تلبث مصر ان تحتل فيه قسما ، فلا يكاد ابوها يتطلع الى النزوح اليها ، حتى تتجاوب مي لفكرته لاهجـــة : " مصر موطني تناديني بصوت عميق القرار طويل المدى . " (٤)

---

(١) زيادة . ازاهير حلم ص ٤٥
(٢) المصدر نفسه ص ٣٢
(٣) المصدر نفسه ص ٢٣ — ٢٤
(٤) المصدر نفسه ص ٢٢

وفي الناصرة ، ترفض عرض نسيب لها اسمه نعوم للزواج منها ، وتلتفت الى كتبها تتخذها مرشدا صديقا ، وفي هذه الاثناء تختمر فكرة السفر الى مصر في ذهن العائلة ، وينتقلون الى ارض النيل سنة ١٩٠٨ . وكان على مي ان تزيد في موارد الاسرة القليلة بايجاد عمل لها ، فذهبت تعلم ابناء رجل ثرى هو ادريس راغب .

وفي مصر داهمها الشوق الى لبنان ، فامته في صيف ١٩١٠ ، ثم عادت الى مصر تعد عن الهام لبنان مجموعة من خواطرها سجلتها شعرا باللغة الفرنسية من اجل النشر ويأخذ اسمها منذ ذلك الحين بالبزوغ في الاوساط الادبية الراقية ، حتى يسبقها الى لبنان في عودتها اليه من مصر للمرة الثانية ، اذ لا تكاد تصل اليه حتى تعقد لها الحلقات في الكنج الاخضر الذى بناه لها فارس مشرق .

وفي خريف سنة ١٩١١ تعود الى القاهرة ، لتبدأ في تكوين صرحها الادبي ، وسرعان ما يرتفع نجمها في عالم الادب والاجتماع ، فتلازم الاعلام وتلهم الشعراء ويصدر انتاجها غنيا مرفها بين ثناء واكبار ، ويتعبها الاجهاد المستمر ، فتوقف نشاطها فترة وتذهب لقضاء الصيف في لبنان سنة ١٩١٩ ولا تعود اليه ثانية الا في سنة ١٩٢٥ حيث تمر منه الى روما .

وكانت سنة ١٩٣٠ سنة الكوارث المتصلة ، فقد توفي فيها صديقها يعقوب صروف وتبعه ابوها ثم امها وغمرتها الوحدة فسافرت سنة ١٩٣٢ الى فرنسا ، وانتقلت من ثم الى انكلترا وعادت الى القاهرة ، ثم سافرت الى روما مرة ثانية سنة ١٩٣٤ ، وحين عادت الى القاهرة اخذت في التضييق والتشديد على نفسها ، حتى انهارت اعصابها فانتقلت الى لبنان وامضت فيه وقتا في مصح الامراض العصبية وسنعرض لمحنتها هذه فيما سيجيء ، ثم رجعت الى القاهرة فداهمها الموت سنة ١٩٤١ .

اوصافها ومزاجهـــا

رحمة الله على مي خصالا رحمة الله على مي فعـــالا
رحمة الله على مي جمالا رحمة الله على مي سجـــالا (١)

يكاد يجمع الذين شاهدوا ميا بانها كانت ذات وجه متناسق القسمات ، حلو التقاطيع يتألق فيه شعاع خفي من ذكائها وتبرز في ملامحـــه صفحة شخصيتها فتجعله عذبا بهيا . فتقول هدى شعراوى : " لم تكن مي على وسامتها ووضاحة وجهها جميلة بالمعنى الصحيح للجمال ولكن نفسها كانت اجمل من وجهها ، وروحها اجمل من صورتها فكانت بعين الجميلات لا تبدو اقل فتنة منهن " . (٢)

وتصف مي نفسها باحاطة اجلى ، في رسالة لها الى جوليا طعمة دمشقية قائلة : " استحضرى فتاة سمراء كالبن او كالتمر الهندى كما يقول ميتم العامرية ، وضعي عليها طابعا سديميا من وجد وشوق وذهول وجوع فكرى لا يكتفى ، وعطش روحي لا يرتوى ، يرافق اولئك جميعا ، استعداد كبير للطرب والسرور ، واستعداد اكبر للشجن والالم ، واطلقي على هذا المجموع اسم مي . "(٣) فهي تعرف ذاتها بصفاتها المعنوية ، وتميز شكلها الخارجي بمظهر عادى تغلب عليه السمرة العربية .

وقد التفت الكثيرون الى ميزاتها الخلقية ، محاولين تفسير مزاجها فقال عبـــاس محمود العقاد : "كان يخيل الي ان احتراسها المفرط خصلة عميقة في سريرتها ، لازمتها من ريعان شبابها لانها كانت قليلة الامن والطمأنينة الى الناس ، وكانت على دمائتها لا تدع الحواجز بينها وبينهم ولا تفتأ وراء سور من الحيطة والكتمان . "(٤)

---

(١) العقاد . "المكشوف" السنة الحادية عشر ، مجلد ٤٥ عدد ٣٩٦ ص١٢
(٢) شعراوى . "المقتطف" . مايو ١٩٤٢ مجلد ١٠٠ ج ١ ص ١٩
(٣) زيادة . الرسائل ص٥٦
(٤) "الرسالة" . السنة التاسعة المجلد ٢ عدد ٤٣٥ ص١٣٣٤

ويقول ايضا : " كانت لها فطنة للضحك تحيي المساجلة وتزين الحوار ، ولكن فطنتها للمواقف المضحكة كانت ادق من فطنتها للنكتة واشتراكها فيها . " (١) ويبدي منصور فهمي بذور الخير الكامنة في نفسها قائلا : " اخص ما يعجبني منها نزعتان ، الاولى انها كانت متحمسة لكل ناحية من نواحي الاحسان ، فكانت على فقرها وقلة مواردها تتحمس للمعروف وتتسابق الى الاحسان ، وكانت في كل حفل من محافل الاحسان تشترك بما تستطيع من مال او مقال ، والنزعة الثانية هي نزعتها الروحية الراقية ، فما كنت اعرف عنها استهانة بما في الاديان من خير . " (٢)

وكانت الى ذلك ابية النفس ، لم تسمح ان تثلم روحها دنية ، واسعة الادراك عميقة الفهم ، ولم يعرف عنها انها تاهت زهوا بذكاء او دلت بالمعية وشهرة ، وقد سبب لها توقد قلبها الما كبيرا ، فمن قولها : " ما اتعس القلب الحساس وما الينه لاستحكام الجراح في ثنياته . " (٣) " عندما تتألم نفس من اجل نفس شقيقة تحبها ، فتلك معركة مثالية " . (٤)

وكانت الرفعة تحتل في نفسها مركزا ساميا : " ما اشرفك ايتها الانفس التي تجردت من الثروة وانت ايتها الانفس المتجبرة التي لا تحطمها احداث الدهر . " (٥)

وهي تعتز بترفعها عن الصغائر وبمجالدتها في سبيل المثل : " انا لست من هذه النفوس الصغيرة التي تقبل كل شيء ياتي عفوا ، فالحياة صراع لبلوغ مثلها الاعلى . " (٦)

---

(١) الرسالة " السنة التاسعة المجلد ٢ عدد ٤٣٥ ص ١٣٣٤
(٢) فهمي " المقتطف " مايو ١٩٤٢ مجلد ١٠٠ ج ١ ص ٥١
(٣) زيادة . ظلمات واشعة . دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٢ ص ٢٨
(٤) زيادة . ازاهير حلم ص ٦٤
(٥) المصدر نفسه ص ٧١
(٦) المصدر نفسه ص ٦٣

وكان في اعماقها انجذاب الى الوحدة ، ولم تكن وحدتها لتعكس نفورا من الناس او انكماشا مرضيا ، وانما كانت نوعا من الوحدة المبدعة ، التي كثيرا ما ترافق العظماء ، لتعود بهم ينشرون الخير بالنظرة الدقيقة في اوضاع الكون . ويمكن ان تكون قد احبت لبنان لكونه مسرح وحدتها الطليقة فهي تقول : " يا للساعات الحلوة التي تنقضي خالية متريثة حالمة منعمة ، طليقة من قيود الاجتماع ومقتضيات العالم " .(١) وهي تلوذ بالوحدة اذ يصطدم شعورها بواقع مرير فتقول والحرب العالمية الاولى قائمة في العالم كله : "انهر الصفا ، جئتك تعبة الروح والجسد معا قرأت خلاصة الاحوال الحاضـــرة ، فدوى في مخيلتي هدير المدافع ، وتمثلت لناظري صور الحرب المخيفة ثم قصدت الاجتماعات ، فملأ اذني ضجيجها التافه ، وضجرت نفسي من معانيها السطحية ومراميها الجنثيـة .(٢) وكانت بطبعها متمردة على قيود الانظمة حتى " صعب عليهـــا ان تخضع للنظام والتوقيت ، كما صعب عليها ان تتطبع بطبيعة المجارين كل تيـــار فتمـرقت امتعاضا ، ولولا توقهـــا المفرط الى العلم لتركت المدرسة ".(٣)

وكانت معتدلة النزعات ، يغل روحها التعصب فهي " تعشق الحرية والعمل وتكره في الوطنية التعصب للدين ، وتنشد في المستقبل سعادة غير التي ينشدها الناس ".(٤)

مـــي المرأة

لم يعرف الادب النسوي وجها من وجوهه اشد اخلاصا لطبيعة المرأة واكثر انسجاما مع احلامها وامانيها من مي زيادة .

---

(١) زيادة . ازاهير حلم ص ٣٣
(٢) زيادة . ظلمات واشعة ص ١٤
(٣) جبـر . مي في حياتها المضطربة ص ١٤
(٤) نعمان . مترى . المسرة مجلد ٢٨ سنة ١٩٤٢ ج ١ ص ٩٥

فادب مي وحياتها صورة مشرقة تتناهى مثالية ورفعة ، ولكنها ليست في تعبيرها السني او مجرى حياتها صورة لكل امرأة او ممثلة لكل فتاة ، وانما هي التوق لما يرجى ان تكون عليه النساء فان اتهمت النساء بالعاطفة ، فهي لا تمثل من العاطفة سوى وجهها المبدع الذى يستطيع ان يستأثر بكل اكبار ، وان عد ما يتجمهر في اذهان النساء عاديا ، فان ميا تفيد من العادى في ادبها وتعكسه في صفحاتها بدعا سنية .

وقد تصور شاعرة او كاتبة قبلها نزعة من نوازع المرأة ، فتعبر عن حب كمين او تبكي رائية او تصف حنينا الى وطن واهل ، او ترتجل حكمة وعبرة ، او تنجذب نحو الدين ، وتتراكض الى الخير وتحجم عن اباطيل السياسة . ولكن ان يكون الحب مدار حياة باسرها ، وان يغدو التفجع الفردى انينا متصلا على بحار الشقاء وان يسمو الشعور ويشمل اوطانا باكملها ويضم اشخاصا روحيين ينفذون الى اعماق النفس ويسكنون خلجاتها ، وان تلازم الحدس قوة الفكر ، وان تكون السياسة مصدر بلبلة روح ، فذلك كله لم يعرفه ادب المرأة قبل مي . فلا بد لشخصيتها النسائية ان تبدو من خلال كل بحث كتبته او رسالة خطتها او خطاب القته ، تشيع عمق الفكر الى عذوبة العاطفة ، وتبدى النفور من كل قبح والترفع عن كل شر وبشاعة . وحياتها نفسها سلسلة متماسكة من الحب ، والحب عندها واسع عميم ، يعم الطبيعة بارضها وسمائها ومخلوقاتها البشرية والحيوانية ، فقد خاطبتها قائلة : " بورك بك ايتها الطبيعة السخية الوهوبة ! ما اتلفت يد الضياع ودمرت الا رممت يد العطاء منك وجددت " . (١)

---

(١) زيادة ظلمات واشعة ص ٦٠

وناجتها قائلة : "كلما احببتك زدت نموا واقتدارا ، كلما دققت عليك ، ايا قمم جبالي عواطفي وذهولي تجدد في الحب ."[1] وتعطفعلى الطير قائلة : " طائـــــر صغير احببته شهورا طوالا ، غرد لكآبتي فاطربها ، ناجى وحشتي فآنسها ، غنى لقلبي فارقصـــه ".[2]

واكثر المخلوقات قربا الى نفسها هم الاطفال فمنذ صباها وعاطفة الاخوةخرساء في قلبها ، فلا تكاد ترى طفلا حتى تسرع اليه وتحتضنه : " ولما شعرت بثقل جســـده الصغير ، ذكرت اخي الوحيد الميت ، ووثب قلبي الى شفتي وجالت الدموع بين اجفاني فملت الى الطفل امتص من حلاوة وجنته ".[3] او تقول بمرارة : " وضممت الطفل بذراعي التي لم تضم يوما اخا او اختا صغيرة ."[4]

وليس اصدق منها في رسم مشاعر الامومة في نفس الفتاة ، فهي تذوب رقة اذ تلمح ابتسامة طفل او دمعة صغير فتقول : " سمعت الطفل يضحك فاختلجت روحي الاثيرية في جسدى الترابي ثم سمعت الطفل يبكي فهلع قلبي فرقا ، وشعرت بشيء كبير يذوب فيه ."[5]

وهي تتنكر للام المهملة وتعجب منها كيف تترك منحتها الغالية وتذهب الى زيارات تافهة ، فتدافع عن حق الطفل في الرعاية ، وتوضح الامومة الكامنة في روح المرأة . قائلة :

---

(١) زيادة . ازاهير حلم ص ٣٤
(٢) زيادة . ظلمات واشعة ص ٢٩
(٣) المصدر نفسه ص ٤
(٤) المصدر نفسه ص ٢٦
(٥) المصدر نفسه ٢٥

"تعالي اسجدى امام السرير ، سرير الصغير

اسجدى امام هذا المهد الذى لعبت بين ستائره طفلة ، وحلمت به فتاة ، وانتظرته زوجة ، فما خجلت ان تهمليه اما ." (١)

وكان في طبيعتها ايمان مذعن ، غذته الكنيسة الكاثوليكية ، بما يلتئم ونزعتها الروحية ، فلم تستطع القراءات الفلسفية المتطرفة ولا المناقشات الالحادية التي كثيرا ما جرت في منتداها ان تزعزع منه شيئا ، وقد حاول الكثيرون من اصدقائها ، ان يدخلوا في ذهنها شيئا من الشك ، فلم يفلحوا . حتى قال منصور فهمي : "لا انا ولا الدكتور صروف ولا الدكتور شميل استطاع ان يغير عقيدتها الموروثة ." (٢) مع ان ميا كانت تجل آراء كل واحد من هؤلاء وتعتبره مثلا اعلى في التوجيه والرعاية ، الا انها ظلت اشد تعلقا بحدسها تستلهمه الايمان الصادق والعقيدة المتينة .

ولم تفتعل مي اهمالا في مظهرها ، فقد كانت امينة التجاوب مع ما تقتضيه الطبيعة النسائية من حرص على الاناقة وبهاء الطلعة ، فكانت تدعو الى جمال الهندام والتزين ، ولم تتفق مع عائشة التيمورية في هذا الصدد ، اذ كانت هذه تلوم المرأة على مبالغتها في الزينة ، دون الانتباه الى واجباتها ، في حين وقفت مي من ذلك موقفا معتدلا ، اقرت فيه ان التزين ليس كل شيء في حياة المرأة ، ولكنه واجب تقتضيه طبيعة وجود النوع النسائي الذى عليه ان يشيع الجمال دائما . وهي تقول : "العيب ليس في ميل المرأة الى الزينة ولكن في المغالاة بارضاء ذلك الميل وعدم الخضوع لقواعد الذوق السليم في التصرف بمظاهره ." (٣) وقد قيل ان ميا في ذات سهرة كبيرة في لبنان ارتدت كل ساعة فسطانا جديدا . (٤) اما السياسة ، فلم تستأثر باهتمام مي ، مع انها لم تحجم

---

(١) زيادة . ظلمات واشعة ص ٢٧

(٢) فهمي . محاضرات عن مي ص ١٢٩

(٣) التيمورية . عائشة . حلية الطراز . مطبعة دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٥٢ ص ١٤٤

(٤) جبر . مي في حياتها المضطربة ص ٦٧

عن الاشتراك في معناها الفسيح المتصل بالحياة القومية ، اذ ابدت الاراء الكثيرة فيما يعود على المجتمع بالاصلاح ، وسنعرض لذلك فيما سيأتي ، وقد قالت سلمى الصائغ عن الجمود الذى ابدته مي نحو السياسة : "جعلت لفافة السياسة في دماغها جافة عميقة لا تتأثر ولا تتحرك ." (١)

وتطل طبيعة المرأة في مي ، من ذلك الحب الرفيع الذى رافق شبابها ، حب من دعته الغريب ، اذ هي مفتونة به ، حائرة بين البوح والكتمان ، مزهوة برجولته وكبريائه ، مبدية حاجة المرأة الى النصير مهما ارتفع قدرها ، ومظهرة تطلعها الى تلقي الارشاد ممن تعتبره ساميا . سألتها مرة سلمى الصائغ : "اى اثر من آثارك الادبية تفضلين ؟ فافتر ثغرها عن ابتسامة حزينة وهمست : ان اعلق ما كتبت بروحي هو : انت ايها الغريب ." (٢) وهذا هو احد مواضيع كتابها ظلمات واشعة ، فان لاحت مقالاتها العديدة في الوصف والبحث والاصلاح ، وكلها اثير لديها ، وكانت تلك القطعة اعلق ما في روحها ، كان لنا ان نعرف باى صدق حافظت مي على فطرتها ، وباى اخلاص كتبت كل حرف .

وقد قال زكي مبارك عن تمسك مي بانوثتها : " قلبها قلب امرأة ، وعواطفها عواطف امرأة واسلوبها في الكتابة والخطابة ، اسلوب فتاة خلوب تعرف كيف تغزو الصدور والقلوب " . (٣)

وكانت تدرك بطبعها ، ميل النساء الى بعض المظاهر الجمالية ، التي ينكرها المجتمع عليها ، وخاصة الرقص ، فكانت تروج له في اعتدال حاذق ، معتبرة اياه رياضة

---

(١) صائغ . سلمى . النسمات المطبعة الادبية . بيروت ١٩٣٣ ص١٤٣
(٢) صائغ . سلمى . العصبة . المجلد التاسع العدد ٥ ص ٤٨٥
(٣) "الاداب" دار العلم للملايين . بيروت العدد الخامس ايار ١٩٥٣ ص٧٩

مفيدة ، مخالفة باحثة البادية في وجهة نظرها بشأنه ، متطرقة الى تفسير الشرف تفسيرا رائعا قائلة : " الشرف في اعتقادي اسمى وانقى كثيرا من ان يتلوث بالغبار الذي تثيره خطوات الفالس، بل هو ارق لطفا واصفى جوهرا من ان تدانيه يد الانسان ." (١)

وقد حرصت مي كثيرا ، على اظهار تفوق القلب ، شان امرأة ممتازة تساوى منها الفكر والقلب ، حتى تقول : " شيء واحد تام الجمال في تقديري ، وهو ما يشترك في تركيبه قسم كبير من الفكر ، وقسم اكبر من القلب ." (٢)

اما قلبها هي ، فخير من وصفه سلمى الصائغ ، حين اسندت رأسها الى صدر مي وقالت : " سمعت موسيقى ذلك القلب المعذب ، وشعرت ان وراء تلك الضلوع شعور الف امرأة والف ام ." (٣)

مي المثقفة

تهادنت في ثقافة مي ، الوان المعارف المختلفة ، التي برزت في ادبها تجلوه قوة وخصبا . فقد ادركت بنفاذ بصيرتها ان من يختص في احد العلوم ، يمكن له ان يغوص في نواحيه مدققا ، في حين لا يستقيم للاديب بحث ما لم يعب من علوم الانسانية وفنونها شيئا كثيرا ، وما لم يتبحر باسباب الحياة النابضة المتجددة يوما بعد يوم . واتجاه مي الثقافي ، سعي دائب نحو المعرفة التي يغمو بعضها بنضج البعض الاخر، وازدياد ثروته وغناه ، فلا يتكامل الادب في عرفها الا بالتضلع من التاريخ والفلسفة والاديان والفنون كما انه لا يسعى نحو التفلت من دائرته المحلية الا بما يكتسب من اللغات الاخرى ، فلم

---

(١) " المقتطف " مجلد ٥٤ ص ٤٢٧
(٢) زيادة . ظلمات واشعة ص ٢٨
(٣) " العصبة " مجلد التاسع العدد الخامس ص ٤٨٥

تأل جهدا في التكسب من هذه الفروع ، حتى بلغ ما اتقنته من اللغات خمسا كما يذكر العقاد .[١] وان تكن قد قررت هي ، انها اتقنت تسع لغات ، ولعل الاربعة الباقية مما الت به الاما .[٢] وهي : الاسبانية واللاتينية والسريانية ، واليونانية القديمة .

ومن المعروف انها اجادت الافرنسية ، حتى ان كتابها الاول " ازاهير حلم " قد صدر بها ومن الافرنسية ، اكتسبت مي موسيقاها اللغوية وخيالها الحالم ، وكذلك اتقنت الانكليزية بحيث قرأت عيون اثارها ، وعرفت ميزة شعرائها ، فطفقت تفاضل بينهم : " انا وحدى مع بيرون ، شاعر العنف والعذوبة ، الذى يضعه الانكليز في المرتبة الرابعة من شعرائهم ، مع انه يستحق ان يكون الاول بعد شكسبير ، والان وقد انشأت اكتب فان شايلد هرولد ملقى عند قدمي ."[٣]

كذلك اتقنت الايطالية اذ انها تقول : " دخلت منذ ايام ، مكتبة ايطالية صغيرة ، ابتاع بعض كتب جبرائيل دانونتزيو .[٤] فقال صاحب المكتبة وقد ابرقت اسرته : " اذن تعرفين الايطالية ، واذ اجبت بالايجاب ، اخذ يتكلمها ."[٥]

واستأثرت اللغة العربية بفائق عنايتها ، فتمكنت منها ، " وفهمت الكثير من دقائقها واسرار جمالها ".[٦] وتجاوزت مضمار الادب الى اتقان فني الموسيقى والرسم "[٧]

---

(١) "الرسالة" المجلد الثاني . عدد ٤٣٥ ص ١٣٣٥
(٢) جبر . مي في حياتها المضطربة . ص ٦٣
(٣) زيادة . ازاهير حلم ص ٣٢
(٤) هو شاعر جندى . ولد في ايطاليا سنة ١٨٥٤ . ذاعت شهرته اثر تأليفه رواية انتصار الموت .
(٥) زيادة . بين المد والجزر مطبعة الهلال . مصر ١٩٢٤ ص ٨٦
(٦) "المقتطف" . هدى شعراوى . المجلد ١٠٠ ج ١ ص ٢٠
(٧) "المسرة" مجلد ٢٨ الجزء الاول ص ٩٤ .

ولعل مترى نعمان يعني بهذا القول الاخير، ان ميا اتقنت هذين الفنين كهاوية فحسب وقداثار الهامها الرفيع بشتى الفنون اعجاب من عرفوها عن كتب، فقال رشدى المعلوف : "الموسيقى التي احبتها ، هي القمة التي وصلت اليها المجهودات الانسانية في حقل الموسيقى ، وكذلك الصور التي اعجبت بها ، والشعر والنحت والرقص وسائر الفنون ، فلقد تذوقت كل ذلك وعبرت عنه ، كأن في قلبها اوبرا ، وكأن حياتها مرآة لاصفى الجمالات ". (١)

واستقت ثقافتها من معين انساني يترقرق وراء الحدود ، وبرزت هذه المعرفة في المقالات الكثيرة التي كتبتها ، والتي اتاحت لها ان تبدى رأيها معززا بالحجة العلمية فهي تقارن بين عصرين باكملهما قائلة : " ما شبه القرن الثامن عشر في فرنسا، بعصور بريكليس واغسطس ولاون العاشر ، الا لتقدم الاداب فيه ، وارتقاء الفنون ونبوغ طائفة من اعظم الناثرين والشعراء والفنانين مثل كورناى وراسين وموليير في الروايات التمثيلية وبوسيه وفنيلون وفليشيه في الخطابة الدينية ، ولا بروير ولا روشفوكو في النقد الاخلاقي وبيسكال في الفلسفة وسان سيمون ورتز في التاريخ ، وبوسن ولبرون وبيرو ومانسار وجيراردن وبوجه في الفنون ." (٢) وقد سمحت لها تلك الثقافة ان تقرر غير هيابة : " حق للقرن السابع عشر ، ان يدعى عصر الانكليز ، كما دعي عصر لويس الرابع عشر عند الفرنسيين ." (٣) كما انها تبدى سعة اطلاعها على الادب الفرنسي قائلة : " عن طريق احياء اللهجات الاقليمية ، نشأت شهرة نفر من كتاب الافرنسيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، امثال ميسترال ورومانيل واوبانيل ، مجددى لهجة بروفنسا

---

(١) "المكشوف" المجلد الثامن عدد ٣٣٧ ص٤

(٢) زيادة . مي . الصحائف . المطبعة السلفية . مصر ١٩٢٤ ص ٥٥

(٣) المصدر نفسه ص٥٣

واللهجات الاخرى من لسان اوك ، الذى يشمل وحده اللهجات الجكسونية والكنتالونية واللنجدوسية والليمونيزية والبروفنسالية والدوفينية ". (١)

وقد اطلعت على الفلسفة اليونانية اطلاعا خاصا ، عدا ما المت به من الفلسفة العامة في الجامعة المصرية ، بحيث اتيح لها ان تنظر في اطوارها قائلة : " لبثت الفلسفة تتألق في سماء مجدها مع الرواقيين . (٢) والابيقوريين (٣) والمشائين (٤) والمرتابين (٥) وانصار الافلاطونية الجديدة . (٦) " (٧)

وكانت ثقافتها تجعل لحكمها على الامور طابعا مميزا يمكن الاخذ به كل حين فقد ناقضت مثلا فكرة قلب الاحرف العربية الى احرف لاتينية ، ودافعت عن ابقائها على ما هي عليه ، مستندة فيما تقول به ، على امثلة من لغات حية اخرى ، فتقول : " ان الذين تعلموا منا الانجليزية يعرفون صعوبة نطقها ، ويعجبون للحروف الكثيرة التي لا تظهر في اللفظ ، ومع ذلك فلا يحذفها الانجليز ويرغمون ابناءهم والمتعلمي لغتهم على اجهاد النفس في مالا طائل تحته ". (٨)

وتسترسل آتية بمثل اخر من لغة ثانية : " حتى الفرنسية تجد في كتابتها صعوبة لا شبه لها في اللغة العربية ، فما قد يكتب عندنا بثلاثة حروف يقتضي احيانا عندهم سبعة حروف ، والحركات التي تجد اليوم عندنا من يثور عليها ويطلب حذفها

---

(١) زيادة . بين المد والجزر ص ٥٣
(٢) مؤسس الرواقية هو زينو اليوناني ، اقامها على ايجاد طريق في الحياة واهتم بتحديد طبيعة السعادة البشرية .
(٣) وضع ابيقور فلسفته حوالي ٤٣٢ ق.م . ، وكانت تربي الى ابدال الدين بالفلسفة .
(٤) سميت فلسفة ارسطو بالمشائية وقد كان يستمع اليه اتباعه ويناقشونه وهم يذهبون جيئة وروحا .
(٥) اوجد هذه الفلسفة بيرهو حوالي ٣٦٠ ق.م . وتقوم على اتخاذ الشك وسيلة للوصول الى الحقيقة .
(٦) فلسفة افلوطين القائمة على التوفيق بين ارسطو وافلاطون
(٧) زيادة . الصحائف . ص ١٥ (٨) زيادة . بين المد والجزر ص . ٥

موجودة عند الفرنسيين ، وان اختلفت وظيفتها اللفظية بعض الاختلاف ، وتصريف الاسماء الذى يحرجنا في العربية ، موجود عند الالمان ، وعند اليونان . " (١)

واهتمت كذلك بمطالعة سير من اشتهرن من ادبيات الغرب و الشرق، ويقول منصور فهمي بصدد سعة اطلاعها : " تجاوزت حدود الادب الصميم الى الفلسفة وتاريخها في القديم والحديث ، وفي الشرق والغرب ، الى التاريخ العام الى فقه اللغات وحياتها الى علوم رياضية وطبيعية وحيوية ، مما هيأ في ذهنها دائرة للمعارف ، وجعل منه موسوعة من الموسوعات ، تحرص على الاحتفاظ بما فيها وتحسن تثميره ، وقد تنوء بما تحمل من كثرة . " (٢)

وقد كان لمثل تلك الثقافة وهي على ذلك الشمول ، ان تنعكس على مرآة شخصيتها ، بحيث تتيح لها التحدث في المواضيع الادبية والفلسفية . وبحيث تمتلك سامعها حتى ليقول شكيب ارسلان اثر مناقشة معها : " انها قوية الذاكرة الى حد يفوق التصور ، وقد قرأت كثيرا من الكتب في اللغات التي تحسنها كالفرنسية والانكليزية والايطالية ، حتى لقد تشتهد بالمتنبي والمعرى ، كما تستشهد بشكسبير او بيرون . " (٣)

وقد قيل ان منزلها احتوى على مكتبتين ضخمتين ، الاولى لوالدها وفيها ٥٠٠ مجلد ، والثانية لها وفيها ٣٠٠ مجلد . (٤)

ولم تقنع مي بما اكتسبت من معرفة عن طريق الكتب ، بل انها بما اذكت فيها تلك المعرفة من قوى الاخذ والعطاء ، وما ملأت به نفسها من ثقة معززة ، شاءت

---

(١) زيادة . بين المد والجزر ص ٥١٠
(٢) فهمي . محاضرات عن مي . ص ١١٩
(٣) " المقتطف " المجلد الثامن والثمانون ص ٦٨٣
(٤) " صوت المرأة " المجلد الخامس . العدد الثاني عشر ص ١٢

ان تفتتح منتدى ادبيا ، يزيد في علمها علما ، ويشع من ثقافتها معرفة وفضلا .

مي المحدثة

لم تجترح مي بدعة في عقد مجلسها الادبي ، الذى كان يجتمع اليها فيه خيرة مفكرى العرب في تلك الحقبة . ففي التاريخ الادبي عدد من اعلام النساء سبقنها الى عقد اجتماعات فكرية ، كاديبات فرنسا امثال مدام بومبادور (١) وريكاميه (٢) ودوستال (٣). واديبات العرب في المشرق والمغرب ، كسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وولادة بنت المستكفي . وحتى في الفترة التي سبقت شهرة مي ، كانت هنالك الاميرة نازلي فاضل تستقبل في صالونها بقصر عابدين كبار المصريين والغربيين وكانت الاحاديث السياسية ومسائل الاصلاح الاجتماعي والديني شاغلهم الرئيسي ، وكان سعد زغلول وقاسم امين ومحمد عبده يشهدون هذه الاجتماعات .

غير ان مجلس مي ، كان بدعة من حيث انعقاده في زمن كانت الكثرة الغالبة من نسائه تعيش في ظلمات الجهل ، ورائدة المجلس فتاة لا تساندها امارة او زعامة بل كان جل رصيدها لافتتاح المجلس ، ذكاء خارقا ولسانا عذبا ، واثوثة تنضح سموا وخلقا ، وقد استطاعت تلك المزايا ان تحظى بتهافت ائمة الادب وتسارعهم الى المساجلات التي اوسعت انتاجهم الهاما .

في يوم الثلاثاء من كل اسبوع ، كان يأتي الى مي زائروها ، فتستقبلهم في دارها في الطابق العلوى من مباني جريدة الاهرام ، الكائنة في شارع مظلوم باشا ، وكان

---

(١) الماركيزة جانيت انطوانيت (١٧٢١ ـ ١٧٦٤) عشيقة لويس ١٥ كان مجلسها يبحث شؤون فرنسا السياسية وكان فولتير يشهده .

(٢) جانيت فرنسواز جوليا (١٧٧٧ ـ ١٨٤٠) من اشهر نساء فرنسا في الحقلين الادبي والسياسي . كان شاتوبريان من روادها .

(٣) البارونة آن لويز (١٧٦٦ ـ ١٨١٧) اشتهرت بمجلسها وبقصصها : صوفيا ، دلفين ، كورين .

روادة يسعون اليه اشتياقيا ، بحيث يندم من يفوته مجلس " لانه يعلم ان كل سانحة من سوانحه هي وحي للادب الموهوب ، ووحي شامل لاشتات المعرفة والثقافة ."(١)

فاذا ما اضطرت الظروف ، ان تحول دون احدهم الى الحضور ارسل يقول :

روحي على بعض دور الحي حائمة كظامئ الطير حواما على الماء
ان لم امتع بمسى ناظرى غدا لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء . (٢)

وكان من اعلام حضوره : اسماعيل صبرى ، ولي الدين يكن ، حافظ ابراهيم ، خليل مطران ، احمد لطفي السيد ، عباس العقاد ، طه حسين ، احمد حسن الزيات ، شبلي شميل ، يعقوب صروف . وقد زاره ايضا بعض مشاهير الغربيين منهم " هنرى جيمس القصصي الاميركي شقيق وليم جيمس العالم النفسي ، وكان بصحبة ابن الشاعر لونجفيللو ." (٣)

وقد اجمل طه حسين رواد ذلك المجلس بكميتهم قائلا : " كان منهم المصريون على اختلاف طبقاتهم ، وكان منهم السوريون ، وكان منهم الاوروبيون ، وكان منهم الرجال والنساء ." (٤) وقد كان طه حسين احد الخاصة الذين يتاح لهم التأخر في الصالون حتى ينصرف الزائرون .

كانت مي تدير الحديث ببراعة فذة ، متصرفة في شؤون الفكر تصرفا حاذقا ، يزينها تهذيب جم وتواضع كبير ، فتعقد المشادات الذهنية على بساط البحث الحر

---

(١) سكاكيني . انصاف المرأة ص ٢٦
(٢) المصدر نفسه ص نفسها
(٣) " الهلال " المجلد السادس والثلاثون . الجزء السادس ص ٦٦٠
(٤) " اخبار اليوم " العدد ٥٤٧ ص ١٢

وتزيد ترابط الادباء بما تحرص عليه من حفظ قدر كل منهم ، اما حديثها ، فلعله كان من العذوبة والروعة ، بحيث لا يمكن لكتبها ان تعكس مثله ، فقد كانت تضيف الى جمال العبارات حيوية الصوت وتمثيل الكلمة الملائمة بالاشارة العفوية المناسبة .

ويذكر الزيات سحر شخصيتها في ذلك النادى فيقول : " قالت الكاتبة النابهة وقد انتظمنا حولها عقدا ، كانت هي واسطته ، ارجو ان تكونوا شخصا واحدا ، فقال لها الدكتور طه : نعم وتكونين انت روحه . "(١)

وقد قاربت بين طه حسين والزيات ، فكتب هدا على صفحات الرسالة قائلا : " لقد تعانقنا عند اللقاء ، كان لم تكن جفوة ، وتناقلنا الحديث في المجلس كان لم تكن خصومة ، وتمنت ربة الدار ان يكون بيننا عتاب ، فلم تجد ماثلا في النفس الا ان كلينا صورة من شباب الاخر وقطعة من وجوده . "(٢) وقد استطاعت في ان تحظى باكبار كل زائر في ناديها فقال فؤاد صروف : " كنت ازورها مع من يزورها من الادباء في ايام استقبالها ، فلا ينقضي عجبي من الذهن الحاضر والعلم الواسع والحديث المؤدب المتدفق . "(٣)

وباختيار ذات ذوق ، كانت مي تدير كؤوس ماء الورد سقيا حلالا بين زائريها ، وكأن عطور الفكر تلح ان تبقى في ذلك المجلس ، فتمتزج في خلايا الالسنة ، ويكون لمذاق الورد ما لطعم البشاشة في الانفس الكبيرة .

---

(١) "الرسالة" المجلد الاول . السنة الثالثة العدد الثالث والثمانون ص١٦١

(٢) المصدر نفسه ص١٦٢

(٣) صروف . فؤاد . على الطريق . مطبعة قلفاط . القاهرة ١٩٥٤ ص٢١٤-٢١٥
)

وقد عم اثر هذا المجلس فائدة وخيرا ، فتطلع اليه الناشئون يطمحون ان يغدوا بين روادة وهو الذى لا يلج عتبته الا ذوو الشأن والمقام ، وتباهى المقربون فيه ، وغدا كعبة للفكر العربي ، في حقبة كانت الحاجة فيها ماسة الى تقرير اتجاهات الفكر ومذاهبه. وقد رعى منصور فهمي شأن مي . بتبيان اثر هذا المجلس في نفسها ، فاكد انه زادها ثقة في نفسها بحيث جعلها تواصل جهودها وتتابع طموحها معتزة مباهية بين التدليل والاعجاب . [1] ولكنه يذكر ان هذا المجلس فتح بابا للغرور في نفسها ، وكأن في هذا شيئا من التجني عليها ، اذ ما عسى يقال في الجهود الدائبة التي سبقت شهرتها وكانت اغزر واقوى ، ولم يكن هدفها منها اثارة اعجاب .

مي الملهمة :

كان لمجلس مي من التأثير البعيد في الحياة الادبية ، ما تعدى زمنه ممتدا الى وقتنا هذا ، فرائد النادى ، اما صديق مقرب تربطه الزمالة الفكرية بمي المغدقة من عطفها مايزيد الاواصر ثباتا ، واما مبارك للحذق ، ناظر بعين الاكبار للمقتحمة دروب المحاورة وقد غدت بين يديها فنا ، واما هائم كبير التعلق بالمتحلية بالادراك وهي على قدر من الوسامة والبهاء . واذا كان كل واحد من هؤلاء ، ذا إعتاد اجتماعي ادبي ، يشيد بها ويتغنى بوجودها ، واذا كان الهائم فنانا مبدعا ، وكان هذا الهيام داعيا له الى الانتاج ، والى التنافس المبتكر مع هائم اخر ، امكن الوقوف على الاثر الذى تركه مجلس مي في الادب العربي بشكل عام وفي ادب الهائمين بشكل خاص.

---

(١) فهمي . محاضرات عن مي ص ١٨٤ - ١٨٥

فجاء ادب الهائمين وقد اوحت اليهم مي ما اوحت ، متفجرا جديدا ، يرف عليه الحذق والتأنق خرجت رسائل الاحزان ، والسحاب الاحمر ، واوراق الورد للرافعي ، والقصائد الشعرية العديدة للشعراء المجيدين ، مشبعة بالمعاني والاخيلة المتغنى بها ، اذ هي موجهة الى ملهمة ليست كالمهمات ، الى ناقدة فذة تنظر في المنحة المعنوية ، مثلما تنظر ملهمة عادية في جوهرة نادرة يقدمها معجب ثرى .

وانتقل هذا الاثر من انتاج الادباء ، الى من كتبوا سير حياتهم ، فعقدت الفصول المتحدثة عن حب هذا الاديب او ذاك لمي ، واثره في نفسيته وانتاجه ، فجميل جبر عدد الذين ارتبطوا بمي بمودة روحية ، وكتب نبذة عن علاقة كل منهم واسماهم فكان منهم : " لطفي السيد ، ولي الدين يكن ، اسماعيل صبرى ، عباس العقاد ، يعقوب صروف ، انطون الجميل ، مصطفى الرافعي " .(١)

وقد كتب محمد سعيد العريان في كتابه "حياة الرافعي " فصلا خاصا عن حب الرافعي لمي ، دعاه " الحب عند الرافعي " .(٢) ولم يذكر فيه اسم مي صراحة ، اذ انها كانت بعد على قيد الحياة ، وقد دافع عن لحب الرافعي لمي ، وذكر ان ميا قد بادلته ولم يكن ذلك الشعور من طرف واحد ، وزعم ان مقالتها المسماة عند منعطف السبيل ، انما كانت موجهة من قبل مي الى الرافعي . بينما يعقب الاستاذ فؤاد صروف على هذا الامر بقوله : " في يناير من سنة ١٩٣٤ او ١٩٣٥ دعتني "فلانة" الى مقابلتها فلما شخصت اليها ، رأيت في وجهها لونا من الغضب ، فدفعت الي رسالتين من رسائل الحب ، بعث بهما الرافعي اليها لارى رأيي فيهما ، ثم قالت : ماذا تراني افعل ؟

---

(١) جبر . مي في حياتها المضطربة ص٧٤

(٢) العريان . محمد سعيد . حياة الرافعي . مطبعة الاستقامة بمصر . ١٩٤٧ ص ٩٦ - ١٢٥

لا ذود عن نفسي اتراني اتقدم في ذلك الى القضاء ؟" [١] ولعل في نبرة كهذه ، ما لا يشير الى تعاطف من قبل مي ، وحب الرافعي لمي ، مبرهن عليه من اقراره الذاتي ، بيد ان التأكيد على حب مي للرافعي ، ينفيه تحفظها ان تكون قد صرحت بذلك الى احد ، خاصة وان العريان لم يكن احد المقربين اليها ، لذلك فالاعتقاد اميل الى ما لمحه صروف.

ثم هناك ولي الدين يكن ، مؤلف الصحائف السود والتجاريب والمعلوم والمجهول ، وليس في هذه الكتب اثر يشير الى حبه ميا ، وانما يبدو الاثر في قصائده وهو الشاعر الرقيق ذو العبارة النابضة ، اذ فيها تدفق مما الهمته مي .

وفي هذه العلاقة ايضا ، من يحسب انها كانت متبادلة ، ومن يرى انها كانت عن طرف واحد فالشناوى يقول بتبادلها : " في عام ١٩١٤ ، عرف ولي الدين ميا ، واحبها واحبته ، واخذ يبثها غرامه شعرا ونثرا ، واخذت تبثه غرامها كلاما شفويا صريحا ، وكلاما مكتوبا غير صريح ." [٢] بينما يعتقد انطون الجميل ان علاقة ولي الدين بمي ، هي علاقة شاعر بكاتبة ، وان ما كانت تبديه مي ، مبعثة الشفقة اذ كان مريضا بالربو.

يقول لها ولي الدين وقد انقطع عن زيارتها بعد جفوة لم تدم غير بضعة ايام :

تمسين ناسية وامسي ذاكرا — عجبا اشاعرة تهاجر شاعرا
فهل الملائك كالحسان هواجر — ان الملائك لا يكن هواجرا
ان كنت لا اسعى لدارك زائرا — فلكم سعى فكرى لدارك زائرا . [٣]

وقد اهداها مرة صورته وكتب عليها :

كل شيء يا مي عندك غال — غير اني وحدى لديك رخيص [٤]

---

(١) العريان . محمد سعيد . حياة الرافعي . مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٤٧ ص ٩٦–١٢٥
(٢) الشناوى . كامل . اخبار اليوم العدد ٥٤٦ ص ١٢
(٣) المصدر نفسه ص ١٤
(٤) جبر . مي في حياتها المضطربة ص ٧٧

اما هي فقد كتبت عنه تقول :"تكاد النكتة تبرز في كل جملة يقولها ، وللاشياء عنده مقارنات غريبة ، اما كرهه للكلمة "ايضا" فلا حد لمه ، وكما ان كرهه ونفوره شديدان فكذلك حبه واعجابه ."(١) وليس في مقالتها عنه التي بعنوان شيء عن ولي الدين يكن ما يشي انها كانت تبادله الاعجاب العاطفي ، وانما هو اهتمام عادي من طرفها مصدره كونهما اديبين .

وهناك ايضا شبلي شميل الذي صرح باعجابه بمي ، حين اتهم انه عدو نساء وعاتبته مي على ذلك ، فارسل اليها قصيدة يقول :

ومن انباك عن اني عـدو لجنس كان مرآة الرجال
اذا ما قمت اطرى الحب يوما الا تدرين انك في خيالي .(٢)

اما اعجاب انطون الجميل بها ، فسرعان ما غدا حبا عذريا ، اذ اخذ ينشـر مقالاتها في مجلة الزهور ، ولم يترك فرصة تمر دون ان يغدقها بالثناء والمديح ، وكان يوقع في رسائله اليها بكلمة طفلك ، وقد قيل انه اقسم على ان يتزوج منها او لا يتزوج مطلقا .(٣) ولعله لا يبعد ان يكون قد طلبها فعلا ، فرفضت وتكتم هو ذلك ، ولم تبح هي به ، بما عرف عنها من تحفظ واتزان . كتب اليها في رسالة يقول : "انت لست بالغريبة عن الارواح الخالدة ، فمحبو الجمال كمحبي الحقيقة ابناء وطن واحد ".(٤)

اما صلة مي بلطفي السيد ، فصلة التلميذ باستاذه ، فقد وجهت اليه بعد حفلة تأبين فتحي زغلول ، رسالة في مجلة المحروسة ، تعتب عليه تقصيره في دعوة النساء الى ذلك الاحتفال قائلة : " في نفسي كلمات جائلات منذ ثلاثة ايام ، اذا حاولت الافصاح عنها باللسان او بالقلم ، تبعتها حتى علامة الاستفهام ، ارفعها اليك لانك

---

(١) زيادة . الصحائف ص٨٩ ـ ٩٢
(٢) "الاديب" المجلد الاول . الجزء الاول ص٣٩
(٣) جبر . مي في حياتها المضطربة ص ٨١
(٤) زيادة مي الرسائل ص ٩٣

كتاب مي ، يرجع اليه الباحث في ساعة الحيرة والتردد . "(١) وقد ظل بالنسبة اليها ذلك الكتاب الحي الذى عادت اليه في قضاياها ملتمسة الارشاد ، مطلعة اياه على دقائق من حياتها ، مما لم تبح به لغيرة وبقي هو على وفائه لصداقتهما حتى بعد مماتها .

وهناك مصطفى عبد الرازق الذى احب ميا في عفة واحتشام ، ولم يشأ ان يعبر لها عن ذلك الا كتابة ، وقد ارسل اليها في احدى الرسائل يقول : اني احب باريس ان فيها شبابي وأملي ، ومع ذلك فانا اتعجل العودة الى القاهرة ، يظهر ان في القاهرة ، ما هو احب الي من الشباب والامل . " (٢)

اما علاقة يعقوب صروف بمي ، فقد قامت على اسس من الاكبار انماها تشجيعه المتوالي لانتاجها ، وحرصها على نيل اعجابه ، اخذ بنشر مقالاتها في "المقتطف" ، حتى غدا المرجع الاول لكتابتها قبل ان تضمها الكتب ، اما هي فقد تمنت الموت في حياته ، ليكتب ما يعرفه عنها سعيا للخلود على يديه . " اتمنى ان اموت في حياتك انت لتقوم لي بذلك العمل المبارك فاكون خالدة بخلود قلمك الذهبي باستحقاقي ". (٣) وقد كان اعجابها بالغا بمقدرته العلمية والادبية ، كتبت اليه في رسالة تقول : " يسرني جدا استحسانك كلامي عن فيكتور هوغو ، ولكن ما هو ذلك الكلام ، اذا قابلنا بينه وبين ما تبديه انت في الموضوعات العلمية والاجتماعية والفلسفية والنقدية ." (٤)

---

(١) زيادة . الرسائل ص ٣٢
(٢) اخبار اليوم عدد ٥٤٦ ص ١٢
(٣) زيادة . الرسائل ص ٤١
(٤) المصدر نفسه ص ٤٢

وقد تلقت مي من رسائل الادباء ما يزيد في ثروة ادب الرسالة في العربية ، وقيل ان لطفي السيد منع نشر تلك الرسائل بعد وفاة صاحبتها ، وكان باعثـــوها حوالي المئة بين كاتب ومفكر وشاعر وفيلسوف ، منهم المصريون واللبنانيون و الايطاليـــون والالمان والافرنسيون والانكليز ولعله كان ضنينا على سرها ، وهو صديقها الحميم ، اذ في الرسائل شيء من انطلاق او من تعبير عن نزعات ذاتية ، لو ان ميا شاءتها مشاعـــة لكتبتها في انتاجها . ولما سئل طه حسين في رأيه عن ذلك قال : " هذه ثروة فكرية انسانية لا ينبغي العبث بها . (١) وقد شجع انطون الجميل وخليل مطران على نشرها كاملة ، خدمة للحقيقة والتاريخ ، وقد استقر الرأى على ارجاء النشر وسلمت الرسائـــل الى سيدة مجهولة من اقرباء مي كما يذكر الشناوى " . (٢)

اما علاقة مي بجبران خليل جبران ، ذلك الاديب الذى جميع في شخصيتـه من الصفات ما امكنه ان يشغل حيزا كبيرا في نفس مي ، وقد استطاعت هذه العلاقة التي حظيت بتغيير حياة الاديبين الفكرية والنفسية ، ان تحظى كذلك بعناية الباحثين ممن درسوا حياة كل منهما وان كان ميخائيل نعيمة في كتابة عن جبران ، قد اهمل سرد جانب كبير منها ، لان ميا كانت بعد على قيد الحياة ، اما جميل جبر ، فقد افرد كتابا بحث فيه تلك العلاقة وهو يرى ان تأثره بمي كان بعيدا ، وان لم يكن مباشرا ومحسوسا فهي التي كما يقول : " قربتـه من طاغور ، بقدر ما ابعدته عن نيتشه ، فمن المجنون الى السابق الى النبي ، خطوات بل قمزات تذكر في تاريخ جبران ، ان لم يكن لمـــي وحدها الفعل الحاسم فيها ، فلها منه ولا شك نصيب كبير " . (٣)

---

(١) اخبار اليوم العدد ٥٤٦ ص ١٢
(٢) المصدر نفسه الصفحة نفسها
(٣) جبران مي في حياتها المضطربة ص ١٠٣ .

وكان المجلس الادبي فاتحة تعرفها الى جبران ، ففي تلك الجلسات ، دار البحث مرارا حول اثار جبران ، فهفت مي الى التعرف اليها بدافع الاستطلاع الذى ما لبث ان غدا اكبارا ثم اعجابا شديدا ، جعلها تمسك بالقلم وتخط اليه رسالة فريدة في ابداء ثقة بالنفس ، ورجاء من تآخي الفكر الوثاب بفكر مشجع . واستهلت رسالتها الاولى اليه بتعريف ذاتها قائلة : " امضي مي بالعربية وهو اختصار اسمى ومكون من الحرفين الاول والاخير من اسمي الحقيقي الذى هو مارى ، وامضي " ايزيس كوبيا، (١) بالفرنجية ، غير ان لا هذا اسمي ولا ذاك ".(٢)

وكان للرسالة صداها لدى جبران ، اذ لمح بين سطورها روحا لطيفة تتحدث عن بزوغ نهضة نسوية في بلاده ، فكان له ان يرحب بصاحبتها ومن ثم يفتح لها مكامن المعيته مستلهما ذوقها ونقدها . وتتالت الرسائل بينهما ، ملتزمين فيها شؤون الادب والفكر وملمعين عن نوازع النفس احيانا ، في اسلوب عذب جذاب يتألق فيه اطمئنان الروح وسرعان ما اودت تلك المراسلة بصاحبيها الى حب يتناهى مثالية ورفعة ، حب قال عنه جميل جبر انه قلما يوجد بين شخصين مترعين ذوقا وشعورا دون ان يتاح لاحدهما رؤية الاخر مرة واحدة .(٣)

ولكن ميا لم تكن حتى في مشاعر حبها ، بالفتاة اللعادية التي يلزمها الحب ان ترى محبوبها رؤية العين ، وقد يكون لبعاد جبران اثر مضاف في اضفاء حلة إلهية من عواطفها نحوه ، وهي بطبعها الشعرى تمنح الروعة على ابسط انفعالاتها ، فكيف بانفعال روحي كهذا ، لا يعوزه لقاء او رؤية

---

(١) ايزيس زوجة اوزيريس ترمز الى العذراء مارى ، وكوبيا ترجمة زيادة في اللاتينية
(٢) جبران ومي وجبران . مطابع فضول بيروت ١٩٥٠ ص ٢٣
(٣) المصدر نفسه ص ٨

ليـز داد ويضطـرم . فهي في مقالتها " عند منعطف السبيل" (١) توجه مناجاتها الى شخص قد جمعها به لقاء . فنمت بينهما مودة تقول : " لماذا كانت تتبلبل خواطري واهرب عند قدومك ؟ لماذا كنت احيد عن طريقك لئلا التقي بك ؟" (٢)

فهي بذلك ميالة لتبلور مشاعرها ، بصنع مثاليتها ، فتود الا تلتقي بمن تحب لتسكب عليه من خواطرها ما يزيده تألقا ، وقد جاء جبران في بعاده عنها يروى غليل هذه النزعة عندها فاحبته ، واضرم هذا الحب تفرد جبران بشخصية فذة ، في عصر كان الجمود والتقليد طابع الكثيرين من ادبائه ، فخرجت مي على صداقته الفكرية ، وسعت الى الالمام بكل ما يكتب فنقدته حينا على صفحات المجلات ، وفي رسائلها الخاصة اليه حينا اخر ، وظفرت بانتباهه حتى انه لم يعد يصدر كتابا الا ويلتمس تعليقها ، فقد كانت رسالته الاولى محبوبة بكتابه " الاجنحة المتكسرة " يسألها رأيها فيه ، كذلك طلب اليها نقد كتابيه العواصف والمجنون ، فتبسطت بعرض نقدها اياه ، كما انها علقت على كتابه دمعة وابتسامة . ولم يلبث هذا الترابط الفكرى ان توثقت عراه ، بحيث اشفق جبران على نفسه وقد كان يتأكله انهاك المرض ، فارسل الى مي يطلب منها ان توافيه الى بوسطن في اميركا ليعقد واياها شركة الحياة.

وها وقفت مي من التماسه هذا موقفا قد يبدو غريبا في تخطيه مجرى الحب المألوف ، اذ انكرت على جبران ان يفاتحها في امر الزواج ، متعللة بانها لم تكن ترمي من علاقتها به الا الزمالة الروحية ، مع ان رسائلها اليه تجاوزت حد الصداقة فقد كتبت اليه مرة تقول : " اعرف انك محبوبي ، واني اخاف الحب ، اني انتظر من الحب كثيرا ، فاخاف ان لا يأتيني بكل

(١) زيادة . ظلمات واشعة ص ٩٧
(٢) المصدر نفسه ص ٩٨ — ٩٩

ما انتظر ".(١) فهي تقر بحبها له ، وتعجب مع ذلك ان يفاتحها في الزواج قائلة من رسالة اخرى : " انك لم تشاركني ارتياحي الى تلك الصداقة الفكرية ، لانك لو كنت سعيدا بها مثلي ، لما كنت رميت الى ابعد منها."(٢)

ولعل ميا كانت مطمئنة النفس الى هذا الشعور الذى استحث فيها قوى الابداع ، وجعلها مكبة على الجهد لتقارب الشهرة التي كان عليها جبران ، فتلفت انتباهه .

فكأنها بما فطرت عليه من امتياز ، لم تكن تهدف وراء الحب الى الزواج شأن المحبة العادية ، والا لكانت ذهبت اليه حالما عرض عليها ذلك ، اذ انها كانت قد قامت بجولات بمفردها الى الغرب . ولا يمكن ان يعزى موقفها الى كونها انانية كفها مرض جبران من الذهاب اليه ، وهي التي في نفسها من الانكار الذاتي ما يودعها عن هذا ، كذلك لم تكن من التكلف بحيث تود ان يأتي جبران اليها ليأخذها ويعود .

وانما هو قرار بالبقاء حيث هي ، املاه عليها حب مثالي ، انفت ان تسوده مرافق الحياة العادية التي تصحب الحب المنتهي بالزواج . فهي القائلة : " مرحبا بالوهم اذا هو دفع الى العمل وحرض على النشاط ، واوحى حب الحياة . " (٣)

وقد كان حب جبران بالنسبة اليها ، وهما كبيرا ، ملأ فراغ قلبها، اوسعها قناعة روحية قلما توجد عند النساء غير المغطورات على التصور الشعري والخيال .

---

(١) زيادة . الرسائل ص ٦٥
(٢) جبران . مي وجبران ص ٤٤
(٣) زيادة . الصحائف ص ١٠٣

وقد عرف الكثيرون من اصدقائهما ، امر هذه الصلة بينهما ، الا ان احد اصدقاء جبران وهو عبد المسيح حداد ، انكرها من جهة جبران قائلا : " ان اعجاب جبران بمي ، كان مشوبا بنفور ولكم قال لي ان ميا يجب ان تحشر بين الرجال لكونها معدومة الانوثة في كتاباتها فجبران كان يعجب بمي المطالبة بحقوق المرأة ، لكنه ينفر من مي المتفلسفة البحاثة. "(١)

بيد ان هذا القول ليس دليلا على قلة اكتراث جبران بمي كمحبة ، وانما هو نقد موجه الى انتاجها ، وكذلك كانت مي تنتقد كتابته وتوجه اليه التهم الادبية المختلفة ، والرسائل التي بينهما لا تشي بعدم اهتمام جبران بمي كفتاة .

اما اصدقاء مي ، فيعترفون باعجابها به ، فقد قال عباس محمود العقاد : " مما يلاحظ انها كانت تعجب بجبران ، وكانت تناقشني في نقدى اياه ." (٢)

وبذلك تم لمي مالم يتم لاديبة عربية قبلها ، من استئثار باكبار الفئة المتميزة ، واتخاذهم لها منهل وحي والهام .

مي الصالحة الاجتماعية

كان لمي ايمان كبير بالنساء ، ولعل هذا الايمان كان يدعوها الى وجوب ترقية المرأة كاتبة ناقدة حينا ، وعاملة في الحقل الاجتماعي حينا اخر. قد عرفت بهذه النزعة الاصلاحية ، واعانتها موهبتها الادبية لان تنتج ما تدعو اليه من اصلاح باسلوبها البياني الطريف . وقد دفعتها ثقتها بكفاءة المرأة ان تتنكر للافكار التي تغض من منزلة النساء ، حتى ولو كان اصحابها من الادباء ، فحين اتهم شبلي شميل بانه عدو للمرأة ، عاتبته مي على ذلك ، فارسل

(١) " العصبة " المجلد التاسع العدد الخامس ص ٤٤٧ — ٤٤٨
(٢) " المقتطف " المجلد ١٠٠ الجزء الاول ص ٣٠

اعتذاره مقرا بسمو مكانتهن قائلا :

من انباك عن اني عدو الـ لجنس كان مرآة الرجال (١) .

وهجمت لوتي(٢) الشاعر قائلة : " من عيوب لوتي الكبرى نظرته الى المرأة ، فهي نظرة غير نبيلة ، المرأة عنده اداة لهو وسرور". (٣)كما هـا جمت كارودتشي قائلة : " كارودتشي الايطالي كبير في موهبته الشعرية ووهبته النقدية ، ولقد كان كبيرا بظلمه فيما يختص بشاعرية المرأة."(٤)وقد ارادت ان تحتفظ المرأة بطابعها مفاخرة وهي القائلة : " من ظريف النكات في الثناء المرأة الذكية ، قولهم انها تجارى الرجال ،ولماذا لا تكون مجارية نفسها التي تكشفتها كل يوم . " (٥)

والتمست اصلاح المرأة عن طريق النقد الذى لا يكاد يقسو معنفا ، حتى يلين ويرسم السبل القديمة ، فهي تأخذ على النساء التبذل في المظهر : " قد تكن عفيفات طاهرات في قلوبكن ، ولكن كيف يصدقكن الرائي ويحسن الظن بكن وانتن تسرن في الشوارع بهذه الازياء الحديثة . " (٦)

وحرصت ان تنبه المرأة الى قيمتها الحيوية في المنزل والمجتمع ، وتمنت ان تجعل من كل ام رسول عطف ، فتألمت من رؤية الام المهملة فخاطبتها لائمة : " عودى من نزهتك الطويلة وزياراتك العديدة واحاديثك السخيفة ، عودى واركعي امام الصغير ، واستميحيه عفوا . " (٧)

---

(١) " الاديب " المجلد الاول . العدد الاول ص ٣٩
(٢) اسمه الاصلي جوليان فيود وهو روائي افرنسي احب الشرق . من قصصه : القدس
(٣) زيادة . الصحائف ص ١٠٢
(٤) التيمورية . عائشة . الديوان ص ١٢١
(٥) زيادة . الصحائف . ص ١١
(٦) " المقتطف " المجلد الثامن والثمانون . الجزء الخامس ص ٦٦٢
(٧) زيادة . ظلمات واشعة ص ٢٦ - ٢٧

ورأت مي انه من الخير للمرأة ان تظفر بنعمة الخبرة والدراية ، بعد ان تتحضن بالرصانة والنضج ، وشاءت لها حرية في اختيار شريكها : " فكالرجل يجب ان تكون المرأة مطلقة الحرية بانتخاب زوجها ." (١) ولكنها شددت على امانة المرأة المتزوجة ، ورأت انها : " عندما تجتمع سرا برجل اخر ، تعد مذنبة لإ المجتمع والعائلة والواجب . " (٢)

ولوجدت للفتاة عذرها في التجمل ، وفي حرصها على الاناقة والتزين ، ووضعت تبريرا طريقا لهذا الميل : " لو شبت المرأة على الزينة المعقولة ، لامتدت تلك الاناقة الى افكارها والى ارائها ، والى نظرتها في الحياة ، والى ميولهاالاخلاقية."(٣)

فكان همها ايجاد الحسن في المرأة ، ان بالاوصاف الظاهرة او بالشمائل المعنوية ، ولم تكن في ذلك بالرجعية المتزمتة ، بل كانت تدعو النساء الى ان يأخذن من العادات العصرية القالب والمسحة مجاراة للوقت والاحوال .

ولم تقف مي عند النظر الى احوال المرأة وحدها ، وانما كانت تتألم لما كان عليه الشرق العربي من فوضى وخمول ، فندت بالنظرة السطحية الى الامور قائلة : " يتحمس الناس عندنا لمسألة في بادىء الامر ،تحمسا لحسن ما يقال فيه ، ان الفرنجة ينعتونه بالشرقي ، حتى اذا ابتعد موجد الفكرة وواضع اسسها عن ميدان العمل لسبب من الاسباب ، هبط المشروع وتفككت اجزاؤه ،كان لا قيمة للفكرة نفسها".(٤) ولكن محبتها الشرق ، لا تحول بينها وبين الاقرار بفضل الغرب ، فتنبه الى ان الغلو في التعاظم ضال : " لست اعني ان كل الوطنية وكل الوطنية فيتعظيم ما

---

(١) زيادة . الرسائل . ص ١٦
(٢) المصدر نفسه . ص ١٧
(٣) التيمورية . الديوان . ص ١٤٥
(٤) زيادة . بين الجزر والمد ص ٣٧ — ٣٨

الفصل الثاني : يتناول اثار مي الادبية ، ويذكر اسماء كتبها حسب التسلسل التاريخي ، ثم يضع نظرات تحليلية نقدية في عرض ثلاثة من كتبها : الاول "ازاهير حلم" الصدى صدر باللغة الافرنسية واسترعى انتباه الناس اليها ، والثاني " ظلمات واشعة " وهو يصور نضجها الادبي والثالث " باحثة البادية " الذي يمثل ميا كناقدة . ثم عرض لبعض خصائص اسلوبها من تاثير بالثقافة الغربية ومن ظهور روح العقلية المنطلقة ، ومن استعمال الالفاظ غير المشاعة . وهناك عرض لمختلف الاغراض الادبية التي عالجتها مي ، فقد طلعت بشطر بيت واحد في الشعر ، واثرت النثر بعنايتها فكتبت المقالة والبحث النقدي والخطابة والرسالة والاقصوصة والترجمة .

وجاء في الخاتمة ان ميا لم تقدم (تقدم) دائما يطعن في طريقة تعبيرها كالتابعي والمازني ، في حين اغدق عليها الادباء من الثناء والتقدير ما يكاد ياخذ على الباحث سير تقديره لمنزلتها الادبية فاذا اخذت هذه النقطة بعين الاعتبار ، كان لي ان اجمل نقاطا مما استطعت ان اعثر عليه من هنات في انتاجها وهي :

١) ان ميا تكلف نفسها معاناة الكتابة في اغراض نثرية تخرج عن نطاق موهبتها

٢) ان مسايرة مي خطة الاعتدال في آرائها استكاف عن الصراحة والوضوح .

٣) ان ميا تستعمل اسلوبا خطابيا حتى في المواضيع التحليلية القائمة على البحث .

٤) ان ميا لا توجد حلولا فيما تبحثه من مشاكل اجتماعية .

٥) ان ميا تسرف في التانق اللفظي بحيث يصرفها عن اناة الدرس والتحليل .

ومهما يكن من امر ما تقدم ، فان نظرة الى الادب النسائي قبل مي ، كافية لتفسح لها الصدارة تحتلها عن جدارة وتفوق .

هـو لنـا وتحقيـر ما هو لسـوانا ، ان في التعنت تصغيـرا للنفس" .(١) كما انها تلمـز بعض الاخلاق الشائعة ، كالمغالاة في المجامـلة ، قائلة : " معاني الغلو الباهـظ صارت لنا طعـاما وشـرابا وزينـة وكساء وهـواء ورقادا".(٢)واذا كانت قد تحامت رأى لوتي في عدائه للمرأة ، فانها عادت تدعو للاخـذ به ، في نظرته للشـرق قائلة : " جبـذا دعوة لوتي الى الاحتفاظ بجميل الموروث وكرامة اللغة."(٣)

فهي تعبـد الشرق بقلبها وتهبـه خلاصة تفكيرهـا في التوجيه ، حريصة على ان تبدى ما في الغرب من فضائل قائلة في اعتدال ظاهـر : " السنا نسد امامنـا افاقا واسعة بالتعامي عما في مدنيـة الغرب من جمال وجلال. " (٤)

ولعلها وضعت خلاصة افكارها الاجتماعية في كتابها " المساواة " ، فبحثت كيفية نشوء الطبقات الاجتماعية ، وافردت لكل طبقـة دراسة مستقلة ، وتعرضت لحلول الدمقراطيـة فبحثت في محاولات الفلاسفة لايجاد مدن فاضلة ، ودرست آخر هذه المحاولات في نظرية ماركس وطرقها الثورية وما قد تقود اليه من مذاهب ، وكلها عندها تؤلف مشاكل اشد تعقيدا دون ان يرجى منها تحقيق المساواة ، وهي تعتقـد ان هـاك صعوبات عدة تعترض المساواة ، فتخلص الى الدعوة بايجاد نوع من التأميـم القريـب الموجـود في انكلتـرا لان مشكلـة المساواة لا يمكـن حلها بطبيعتنا البشرية ، فتطلب من الحكومات ان تفتـح مطاعم عموميـة ومنازل للمبيت مجانيـة يؤمها الفقراء والعوزة ، وان تمنـع التسول وتجعل التعليم الاولي الزاميا وتوجـد مكاتب عمومية تمتحن فيها الكفاءات وان تكون عيادة الاطباء مجانية للجميـع ، وان تتولى الحكومة دفع رواتب المحامين ، وان يفرق في السجون بين المساجين حسب مراتبهـم واخلاقهم ، وبهذا النظام يمكن الى درجة ما حل هذه المشكلـة .

---

(١) زيادة . بين الجزر والمد ص ٧٠ - ٧١
(٢) زيادة . الصحائف ص ١٢٩
(٣) المصدر نفسه ص ٩٩
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها

ولعل ميا تلبس للمرة الاولى في بحث كهذا ، عمامة الصلحين ، فتفيض بكل ما يمكن لعمم ان يفيض به من الاتيان بحلول مبعثها صادق الرأفة ، وان كانت بما يلابسها من ارتجال لا تجدى فتيلا في الحياة العربية العامة ، وهي التي اقرت بنفسها ان الفلاسفة لوجدوا التبلبل والفوضى في مذاهبهم ، مع كونهم مسايرين حقل اختبارهم واختصاصهم فكيف بالركون الى ما يمكن ان يجر اليه مذهب مي الاجتماعي ، وهو قائم على استلهام الشعور وفيض الحدس .

ولم تقصر مي دعوتها الاصلاحية على الكتابة التوجيهية ، وانما دخلت حيز العمل ، فاعتلت المنابر خطيبة ، تعرض آثار الاديبات ، وتلقي المواضيع المختلفة في الاصلاح والارشاد ، وقد اشارت هدى شعراوى الى ذلك ورأت ان دراسة مي العميقة لوردة اليازجي وعائشة التيمورية وباحثة البادية هي مظهر من مظاهر وفاء مي لبنات جنسها.(١)

وقد ميزتها شخصيتها لان تكتسب في الخطابة ما اكتسبته في الكتابة من التفوق ، اذ كانت تتحلى بجرأة ادبية فذة منذ حداثتها المبكرة ، فقد استوقفت مرة هدى شعراوى تبلغها اعجابها بمشروع نسائي ، وتضع نفسها تحت تصرفها قائلة : " انا مي ، ولا اظنك يا سيدتي الا قرأت شيئا مما كتبته ، الا تعرفينني ؟ "(٢)

وقد اجمع الذين شهدوها خطيبة مزايا عديدة فيها ، فمن معجب برخامة صوتها ،ومن مشيد بعفوية اشاراتها ، ومن متتبع للتعابير التي كانت تجهر في عينيها، حتى قال عنها خليل مطران : " يبلغ بك الظن وانت تسمعها تخطب ، انه لو ان ممثلة من كبريات الممثلات اخذت كلامها والقته ،لا يكون عندها من ابراز المعاني ما عند مي " . (٣)

---

(١) " المقتطف " . المجلد ١٠٠ ج ١ ص ٢١

(٢) " المصدر نفسه ص ١٨

(٣) " صوت المرأة " المجلد الخامس العدد الثاني عشر ص ٤٧

وقد كانت قوتها النفسية تستدعي اكبار من شهدوها ، وقد ذكرها منصور فهمي قائلا : " ما عرفت انها تهيبت منبرا او خشيت موقفا او غللتها سحابة من جبن ، او غشيتها غلالة من خوف ، بل كانت دائما الواثقة الشجاعة."(١)

مي العليلة

كانت مي متيقظة الشعور حادة الارهاف ، قد بذلت للناس من ذاتها شيئا كثيرا ، ووقفت موهبتها على العطاء الدائم ، مدفوعة بعاطفة مثلى باءت بالوفير من الفشل والحرمان . ولم تكن محنتها وليدة مناسبة خاصة ، اذ انها لم تصب في اعصابها اثر موت ابيها او امها او جبران ، غير ان تجمهر المحن وتقاربها ، وتركز الذهن المتقد على الكوارث المفجعة ، وانعدام يد الحاني المشجع في ظروفها ، والتأمل الفياض في هول ما نالته من مجد وشهرة ازاء ما حرمته من عطف ودت لو تبذله في امومة هانئة . كل ذلك واكثرمنه ، كان يحتشد في نفسها ، مهيئا لها تلك العلة التي منيت بها اخر حياتها . ولعل اعراض ذلك المرض ، بدأت بالظهور بعد عام ١٩٣٠ ، اذ انها سافرت عام ١٩٣٢من فرنسا الى انكلترا وملتهما شريعا ، فعادت الى مصر تغمر نفسها في مطالعة جدية قاسية ، وسرعان ما احست انها لم تعد تطيق البقاء فسافرت من جديد الى ايطاليا ، ثم عادت الى القاهرة .

ويزعم العقاد ان مأساة مي بدأت قبل سنة ١٩٣٠ ، فهو يورد شيئا من حديث جرى بينه وبينها اثر عودتها من ايطاليا ، لا يبدو فيه تسلسل منطقي يقول في اخره : " كانت تسألنا الم نعلم ان الدوتشي يتعقبها ويريد ان ينتزعها حية او ميتة ؟ " (٢)

وقد داهمت العلة ميا ، حين وصلت سن اليأس ، وهي السن التي يصفها العقاد في رصانة علمية قائلا : " في احدى جوانبها انقضاء وظيفة مهمة من وظائف البنية الحية ، ولكنها من الجانب الاخر مرحلة جديدة في الحياة الانسانية ، يصحبها

---

(١) " المقتطف" . المجلد ١٠٠ ج ١ ص ٤٩

(٢) العقاد . بين الكتب والناس . القاهرة . مطبعة مصر ١٩٥٢ ص ٢٩٧ — ٢٩٨

لحيانا صفاء في العقل وسكينة في النفس وقدرة خالصة على فهم الحياة بمعزل عن الاهواء . " (١)

وقد ادركت تلك السن ميا ، وهي مفتقرة الى حنان الاهل ومحبة الاصدقاء ولئن كانت شواغلها الادبية قد ملأت شيئا من فراغها العاطفي في مطلع حياتها ، فان هذه الشواغل لم تعد تقنع ميلها الى الاستقرار والهدوء وهي في تلك المرحلة من العمر. ولعل ميا لم تكن لتشذ عن غالبية النساء في التوق الى حياة عائلية ، تربى فيها اطفالا تصرف في محبتهم غزارة العاطفة وسموها ، غير ان الظروف جافتها ، ولم تحقق لها في ذلك رجاء .

وقد كانت لمي طاقة روحية جعلتها حازمة في حفظ كرامتها ، فلم تلن يوما لنداء عاطفة ، ولم تتنازل عن طبيعة الانثى الممتازة ، وقد عودت نفسها على القهر والمقاومة ، حتى غدا الاباء والانفة منها طبعا . وقد اشار الى ذلك منصور فهمي قائلا : " بينا تدفعها طبيعة الاشياء في عنف الى وجهة ، تمنعها بعض صفاتها في عنف اخر عن هذه الوجهة ." (٢)

الا ان عواطف الامومة ظلت مسيطرة على قلبها ، حتى صح عليها ما قاله فؤاد سليمان : " اعظم من كل ما نشدت يا مي ، نشيد على سرير طفل لم تنشديه ، وكم تشهيت ان تنشديه " . (٣) ويذكر الذين عرفوها عن كثب ان ابرز ما لازمها في تلك الفترة ، الميل الى زيارة الاثار القديمة والوقوف امامها خاشعة ، ودراسة المؤلفات القديمة ، وقد ذكر فؤاد صروف انها انشأت سنة ١٩٣٥ سلسلة من الفصول عن طائفة من ادباء الغرب ويقول : " كان بينا في هذه المقالات لن ذهنها بدأ يتجه الى العناية بالالهيات الغالبة على طائفة من ادباء اوروبا. " (٤)

---

(١) العقاد . بين الكتب والناس . القاهرة . مطبعة مصر ١٩٥٢ ص ٢٩٧ — ٢٩٨
(٢) فهمي . محاضرات عن مي زيادة . ص ١٨١
(٣) " صوت المرأة " المجلد الخمس . العدد الثاني عشر ص ١١
(٤) صروف . فؤاد . على الطريق . مطبعة قلفاط ١٩٥٤ ص ٢١٨

وقد تحدث طه حسين عن اطوار علتها ، ورأى فيها نتيجة مقدمات سبقتها قائلا : " اخذ ميلها الى العلة يظهر بعد ان فقدت ابويها ، وبعد ان غمر الحزن نفسها الشرقة ، ولكنها لم تقطع صلتها بالناس فجأة ، وانما قللت لقاءهم وتجنبت ما يدعو الى هذا اللقاء ، واخذت لا تلقى الناس الا بميعاد يطلبونه وتستشار المذكرات لتحديده ، واخذت المذكرات تبخل بهذا التحديد شيئا فشيئا ، حتى اصبح لقاء مي مقتصرا على اصدقائها الادنين " . (١)

وكان من الطبيعي الا تترك المريضة دون رعاية ، فجيء بها الى لبنان ونقلت دون علم منها الى العصفورية ، ذلك المكان الذى تلابسه نظرة امتهان في الشرق العربي ، وهنا اختلف الناس في امر مي ،ونظر اليها الكثيرون بعين الشفقة التي نالت من الاجحاف قدرا كبيرا ، حتى ذهب بعضهم الى انكار ما اصيبت به من مرض عصبي او ما يمكن ان يحصر ضمن الجنون . ولعل لبعضهم العذر في ذلك ، فقد كانت مي حتى في العصفورية ، تستعيد ذاتيتها الفريدة ، بحيث لا يمكن لزائرها ان يلمس منها ما ينبيء عن مرضها ، وقد قال العقاد : " بقيت لها ملكة الحديث في اشد ايام السقم والسآمة ، فلم يكن سامعها يحس فرقا بين مي في ابان عافيتها ، ومي في ساعات الضنى والاعياء ، حين يستطرد الكلام الى الادب او الى التاريخ او الى معارض الاراء . " (٢)

ولقد كانت علتها دورية ، ينتابها حينا صفاء يظفر بشخصية مي الطبيعية ، ويد اهمها حينا اخر شعور بالاضطهاد يرمي بها في متاهات التأوه والبكاء ، فتعمد الى ايلام الغير عن طريق الامتناع عن الطعام ، وعن الاعتكاف بالصمت المرير الذى كثيرا ما قابلت به اولئك الذين جاءوا للسؤال عنها ، كما جرى في لقائها امين الريحاني

---

(١) " المقتطف " مجلد ١٠٠ ج ١ ص ٢٧
(٢) " الرسالة " المجلد الثاني ص ١٣٣٥

وقد كان احد القريبين اليها.(١) وقد حدت تلك الحالة بالبعض ، الى ان ينفوا كل حالة عصبية عنها ، فقال مترى نعمان : " علمنا من صديق ثقة ان احدانسبا ئها، طمعا منه في اغتصاب اموالها اتهمها بالاختلا ط في عقلها ." (٢)

وقد قالت مي في احدى حالات اشراقها موضحة وضعها في نبرة اليمة :

" اشتهيت الموت بعد ما لاقيت من اضطهاد وعسف ، وسواء في مصر من ادارة الاهرام ، التي كنت اقيم في منزل احدى بناياتها فلم تمهلني لدفع الايجار ، فباعت اثاثي ومكتبتي بالمزاد العلني او في لبنان حيث لاقيت وسائل غريبة لحمل الناس على الاعتقاد بجنوني ".(٣)

كما ان جميل جبر ينفي الجنون الحقيقي عن مي قائلا : " المجنون لا يعلل تعليلا منطقيا ولا يكتب كتابة منسجمة اللحمة حتىفي اسمى درجات صحوه ".(٤)

وقد القت مي بعد ان خرجت من العصفورية الى مصح ربيز ، خطبة كان لها صدى استحسان كبير ، اما تلك الخطبة ، فهي رسالة الاديب الى الحياة العربية، وقد القتها عام ١٩٣٨ ، بناء على دعوة جمعية العروة الوثقى في الجامعة الاميركية ببيروت ، حيث احتشد جمهور كبير ، كان دافع الكثيرين فيه من الحضور ، الوقوف على حال مي بعد اقامتها في العصفورية ، وقد قامت الصحافة اثر تلك المحاضرة ، تساند مي وتدافع عن بقائها في المصح . وقد قال فؤاد حبيش حين سخر المكشوف لتلك الغاية : " اقمنا الارض واقعدناها حتى خرجت اديبة العرب الكبيرة من سجنها الى الحياة . " (٥)

---

(١) " صوت المرأة " المجلد الخامس العدد الثاني عشر ص ٢٨
(٢) " المسرة " المجلد الثامن والعشرون الجزء الاول ص ٩٥
(٣) " صوت المرأة " المجلد الخامس العدد الثاني عشر ص ٢٨
(٤) جبر . مي في حياتها المضطربة ص ١٤٩
(٥) " صوت المرأة " المجلد الخامس. العدد الثاني عشر . ص ٣٠

ولعل تلك العلة لم تكن لتشتد وترسخ لو ان ميا عاشت كما تشاء الطبيعة النسوية زوجة واما ، ولو انها وجدت في شيخوختها طمأنينة البيت المستقل وامن الحب النبوي .

ولكن ميا بقيت عانسا ،ولعل صدر الدين شرف لم يكن مغاليا حين زعم ان ولي الدين يكن والرافعي ، يمكن اعتبارهما نواة لعقدة " احتقار الرجل " في نفس مي ، فقد كانا يعتبرانها متعة حسية ، وكان لا بد لها من الترفع ، فكان حبس انوثتها فداء لترفعها. (١)

بل انه يرى في موقف تمنعها من جبران ، نتيجة طبيعية دفعتها اليها تجربة الرافعي وولي الدين في حين يعزو منصور فهمي ، تفويت فرصة الزواج عليها ، الى مجلسها الادبي فيقول : " افكان من اليسير ان تجد مي الطموح، ذلك الصاحب بين تلك الوفرة من اهل الفكر والاقلام ، ممن كانوا يتجمعون حولها في منتداها الادبي العامر . " (٢)

ولعل في صفات مي الخلقية ، ما يردعها من ان ترى نفسها من التعالي ، بحيث لا تجد بين معارفها شخصا مماثلا لها تفضله عن غيره ، وهي التي كانت ترى في شيوخهم اساتذة ،وفي شبابهم اندادا ، ولكن ما حيلة مي في ذلك ، واكثر رائدى مجلسها من الازواج ، الذين كانت تربأ بنفسها عن العبث باوضاعهم العائلية ، وهم الذين لم يكفهم زاجر عن ابداء اعجابهم الشديد لها فيقول مصطفى الرافعي وهو الزوج فيها :

---

(١) " الاداب " . العدد الخامس ايار ١٩٥٣ . دار العلم للملايين بيروت ص ٧٧

(٢) فهمي . محاضرات عن مي زيادة ص ١٨٥ .

يا نسمة في ضفاف النيل سارية مرى التحية من ناء الى ناء
يا ليت رياك مست قلب هجرتي فتشعريه بمعنى رقة الماء .(١)

و يقول اسماعيل صبرى :

لن هذا الحسن كالماء الذى فيه للأنفس رى وشفاء
لا تذودى بعضنا عن ورده دون بعض واعدلي بين الظلماء.(٢)

ولم نقف على وجود رائد الى مجلسها ، اغرب من دينها ، فكر في الزواج منها ، وعرض ذلك عليها ، وانما كان هناك شعور دائم بتفوقها ، يكف طالب الزواج المناسب عن عرض فكرته عليها ، ولعل في طبيعة الرجل شعورا خاصا بالامتياز ، يجعله ينفر من زوجة المع اسما منه ، خاصة في عصر كانت غالبية النساء فيه ضئيلة القيمة المعنوية .

ولذلك تضاءلت فرصة مي في تكوين صرح هناء عائلي ، وكان للطبيعة ان تنتقم للمجافاة التي ابدتها ازاءها ، فمنيت بعلتها ، وحرمت الادب العربي من انتاجها.

---

(١) جبران مي في حياتها المضطربة ص ٨٤
(٢) " الاديب " . الجزء الثالث . مارس ١٩٥٦ ص ٥

مـــي فـــي عالم الادب

آثـــار مـي الادبيـــة :

قـد يكون ما انتجته مي من الكتب قليلا ، اذا قيس بانتاج من ساوتهم في سعة الشهرة ولكن الكتاب الذى كان يصدر عنها ، كتاب يحمل طابعها ، ذلك الطابع الذى يهيمن عليه الاخلاص بكل مظاهرة ، اخلاص في الاحساس ، واخلاص في التأمل واخلا ص في التعبيـــر .

وقد قال العقاد عنها انها ذكية الفؤاد مهذبة الفكر مطلعة على اداب الغرب لطيفة الشعور عليمة بسنة الحياة ، ثم قال : " احفظ هذا التعريف وافتح اى كتاب مـن كتبها ، في اى صفحة من صفحاته عند اى سطر من سطوره ، لا تجد الا ما يطابـــق تعريفك ". (١)

ولعلها تحشد في انتاجها كل ما حبيـت به من شعور اوسعته الثقافـة غنى ، بحيث تستطيع ان تجتذب القارئ في يسر ظاهر ، فلم تكن بالضنينة في بث مشاعرها وبسط معلوماتها ، بل انها اقامت من ذاتها ناقدا يبحث في الادب والعمران والاجتماع ، وجعلت كتبها صورة عما نذرت له نفسها من رقي واصلاح .

كتبت في مقالات جمعت في كتب ، وانشأت المحاضرات والخطب ، وترجمت عن اللغات الغربية ما كان يروقها . واول ما ترجمت ابتسامات ودموع (١٩١١) وهي قصـة للمؤلف مكس مولر الالماني . اما مجموعة انتاجها حسب التسلسل التاريخي فهي :

ازاهير حلم ١٩١١ سيأتي البحث عنه

باحثة البادية ١٩٢٠ سياتي البحث عنه

كلمات واشارات ١٩٢٢ : يحوى ٢٥ خطبة اجتماعية فلسفية ، تدعو الى مساعدة المعوزيـــن

---

(١) العقاد . مطالعات في الكتب والحياة . المطبعة التجارية الكبرى ١٩٢٤ ص ٢١١

سوانح فتاة ١٩٢٢ : وهي مجموعة افكار تبحث مواضيع مختلفة . جمعت بناء على اقتراح ولي الدين يكن .

غاية الحياة ١٩٢٢ : القي محاضرة ثم جمع كراسة

ظلمات واشعة ١٩٢٣ : سيأتي البحث عنه

المساواة : ١٩٢٣

بين الجزر والمد : ١٩٢٤ : صفحات من اللغة والاداب والفن والحضارة

الصحائف : ١٩٢٤ وهو يقسم الى قسمين :

القسم الاول : يبحث عن صحائف اشخاص

القسم الثاني : يحتوى على وصف رحلات السندباد البحرى

الحب والعذاب : ١٩٢٥ مترجم عن الانكليزية

رجوع الموجـــه : ١٩٢٥ مترجم عن الانكليزية

رسالة الاديب الى الحياة العربية : محاضرة القيت في الجامعة الاميركية سنة ١٩٣٨

ليالي العصفورية : يقال انها كتبته في المصح . وهو لم ينشـــر .

على انني سأكتفي بعرض ثلاث كتب من كتبها ، الاول ازاهير حلم ، وهو الذى استرعى انتباه الناس اليها ، والثاني ظلمات واشعة وهو يصور نضجهـا الادبي ، وباحثة البادية ، الذى يمثلها كناقدة ادبيـــة .

ازاهير حلـــم : بعد ان اتقنت مي اللغة الافرنسية ، وكانت حينئذٍ في السادسة عشر من عمرها ، متفجرة الشعور ، عميقة الالهام ، شاءت ان تضع باكورة انتاجها في كتاب ، اطلقت عليه اسم (Fleurs de Rêve) وبروح فتاة يافعة ، اختبأت وراء اسم مستعار راق لها في غرابته وهو ايزيس كوبيا ، لاهية بالعلاقة القريبة بين معانيه ومعاني اسمها .

وقد نشر الكتاب لاول مرة في مصر سنة ١٩١١ ، واحدث ضجة في الاوساط الادبيـــة ، فتطلع الكثيرون ، متسائلين عمن تكون تلك المؤلفة العربية التي تكتب الافرنسية ببراعـــة ابنائها وقد نشر هذا الكتاب جميل جبر ، بعد ان ترجمه الى العربية (١٩٥٢) وقد وضعت له مي مقدمة جاء فيها : " ليست قيمة الاثر باهميته ، بقدر ما هي باخلاصـه " (١) ولعلها تشدد منذ البداية على ميزة رافقت انتاجها الادبي ، هي ميزة الاخلاص التي لا بد للقارئ ان يلمسها في اكثر ما كتبته مي . ثم تدعو القارئ في مقدمتها الى ان يبتسم (٢) بيد ان بسمة القارئ تشحب منذ تطلع عليه احزان نفس مرهفة ، تتعثر في وجود يمـلأه الابهام والغموض . واكثر ما يعرض الكتاب ، آلاما ذاتية ، لم تتصل بعد بالام الناس ، كما انه يرسم نفسا مستغرقة في تفجع فردي لا تدري مصدره . وتكتنفه بساطة الافكار وحدة الشعور ، وقد قال انطون الجميل فيه : " ان الكاتبة لا تصف الا ما ترى ، ولا تعبر الا عما تشعر به . " (٣)

ويعرض ازاهير حلم ، نفسية مي ببذورها الاولى ، فالكآبة فيها فطرية تلازمهـــا منذ حداثتها ، كما ان في اعماقها لهفة للوحدة : " يا للساعات التي تنقضي طليقة من قيود الاجتماع ومقتضيات العالم " . (٤) والقلق يلازمها تجاه اوضاع الحياة ، فلا تنفـــك متسائلة حيال كل امر ، " من ذا يثبت ان التعليم والتهذيب شيء حسن ؟ " (٥)

ويبدو شعورها بالالفة مع الارض التي تظلها ، دون ان تجعل لمسقط الرأس او انتساب الاصل فضلا كبيرا ، بل تقتسم البلاد العربية التي عاشت ضمنها نفسهـا

---

(١) زيادة . ازاهير حلم ص ٦
(٢) زيادة . ازاهير حلم ص ٧
(٣) "المقتطف" المجلد ١٠٠ الجزء الاول ص ٤٣
(٤) زيادة . ازاهير حلم ص ٣٣
(٥) المصدر نفسه ص ٣٦

المستعدة للحب الشامل ، فتوزع شعورها القومي توزيعا سخيا عادلا بين لبنان وفلسطين وسوريا ومصر ، فتكتب عن الناصرة متوجعة لفراقها .(١) مثلما تكتب عن لبنان(٢) وتكتب عن سوريا (٣) وتكتب عن مصر .(٤) وهي تتاح الى الطبيعة ، فتوسعها مناجاة وشكوى ، وتحاول ان تؤنس الجامد منها ، وتضفي عليه مسحة الحياة وميزة الاحساس ليشاركها في فهم المها :

"كل ما في هذه الربوع يجذبني ويسحرني
الاوراق التي احسها تنبض، والعصافير التي تغرد
كلما رأتني ادنو ".(٥)

وكأنها حرمت من الصديقة التي تفهمها ، فاوجدت لنفسها صداقة حية في الطبيعة ، وحملتها حتى الحكمة في افعالها فتقول ازاء رؤية الاوراق الساقطة عن الاشجار : "كم تراها مغتبطة هذه الوريقات الصغرة ، انها لتتظلل فتعلو وتهبط وتتباعد وتتلاقى وتتجانب وتدور مرفرفة حول نفسها كانما هي تفقه بسرغريزتها ما هي صائرة اليه . "(٦)

ويحيط افكارها استنتاج عادى كقولها مثلا : "لا سعادة عندنا لان الانسان يرسم امانيه ثم يعجز دون تحقيقها . "(٧) او قولها : " عندما تمر بك يا هذا ، لحظة

---

(١) زيادة . ازاهير حلم ص ٤٥ - ٤٦
(٢) المصدر نفسه ص ٢٢ - ٢٥ ومن ٣٢ - ٣٤
(٣) المصدر نفسه ص ٢٧
(٤) المصدر نفسه ص ٢٢
(٥) المصدر نفسه ص ٩
(٦) المصدر نفسه ص ١٣
(٧) المصدر نفسه ص ١٣

سعادة وهناء ، الا تراها تتعجل التفلت والانصراف" ؟ (١)

اما خيال مي في "ازاهير حلم" ، فمجنح ، مترف بالايحاء ، ترف عليه غلالة من كآبة وأسى ، فهي تخاطب الخريف مثلا ، برسم جو قاتم مشبوب الروح قائلة :

ايها الخريف ! يا موسم الصفائح والمعالم فوق القبور
وموسم الاشرطة والازهار المبللة بالدموع
وموسم اشجار السرو الساجعة في المدافن
وموسم تفطر القلوب حسرة وأسى . (٢)

ولعل لهذا الكتاب قيمة مثلثة الانحاء ، فقد يكون للغرابة التي اختارتها مي بتسمية نفسها بايزيس كوبيا ، ما ادى الى لفت الناس على التعرف اليها ، كما ان صدوره باللغة الافرنسية ، عن كاتبة عربية زاد في اجتذاب الانتباه ، وكونه انتاجا لامرأة في عصر الرجال ، اضفى عليه هالة مشبعة بالتقدم والجرأة .

ظلمات واشعة

كتبت مي ظلمات واشعة وهو مجموعة مقالات ، نشرت في الهلال والمقتطف ، ثم جمعت بين دفتي كتاب . ويبدو فيه حرص مي على الانطلاق من نقطة ارتكاز عادية ، الى خلق مبتكر تترنح فيه الافكار والمشاعر . فعنوان المقالة لا يومئ كثيرا الى ما سوف يتدافع في ذهنها من تخيل وتعبير ، فمن عناوينها : انا والطفل ، بين عامين ، كن سعيدا ، بكاء الطفل فكأن هذه التسميات تبدو لاول وهلة مواضيع مطروقة ، الا ان ميا اذ تجيل قلمها فيها لا تخرج الا بالجديد .

---

(١) زيادة . ازاهير حلم ص ١٩
(٢) المصدر نفسه . ص ٣٠

فمقالتها الاولى انا والطفل ، تبدأ بالتحدث عن نزهة قامت بها الى حديقة والتقت بطفل انكليزى دار بينه وبينها ما يدور عادة بين كبير وصغير من ملاطفة وتودد ، وبروح انسانة رحيمة تحدثه عن مساوئ الجندية ، ببداهة تناسب توجيه الكلام الى طفل ، وبعمق دافعه تشويه الطعن حتى ولو كان على حساب الوطن ، وتحدثه عن انواع العواطف الساكنة في قلوب الناس وايها ستكون من نصيبه ، وتبين له بعد ذلك اختلاف دروب الحياة ، وما يحفها من مسؤولية وتنتقل به الى تبيان اثر الدين ، بما يبدو مناسبا لعقل طفل ، وبما يحمل طي معانيه الما من تفرق الملل والاديان قائلة : " عما قريب تفهم ما هو التعصب الديني والجنسي والعلمي والعائلي والفردي " .(١) وكأنها تغبط طفولته الساهية عن الوان التفرق البغيض .

كذلك نجد الافكار العميقة والمشاعر الرقيقة تثار في تحدثها عن الساعة المفقودة ، وفي تفجعها على طائر مات لديها ، حيث تضع تساؤلا عن الموت والحياة ، معطية خلاصة مذاهب عدة في تعليل البقاء والفناء : " اضاعت نفسه الصغيرة الحلوة في الاثير ، كما امتزجت تغاريده باموج الهواء وعناصر جسمه بالتراب والماء ، ام هو يحفظ جوهر ذاتيته ، ويظل هو هو في مجاهل الفضاء ." (٢)

ويطل الم مي في ظلمات واشعة منصهرا في الم المجموع ، ففي مناجاتها للعام الجديد تتعطف قائلة : " رحماك ايها العام الجديد ، الانسانية تتألم فارفق بها ."(٣)

وفي ليلة عيد النصر ، حين يكون الناس اخذين بصنوف المرح ، يستيقظ المهازاء شيخة ذليلة طردت من بيتها لانها لم تدفع بدل الايجار . وكأن اوجاع الكون

---

(١) زيادة . ظلمات واشعة ص ٧
(٢) المصدر نفسه ص ٣٢
(٣) المصدر نفسه ص ٩

كله تروع امنها فتقول : " اذوب واتضاءل ثم اذوب حيال بحر الشقاء العام ، حتى البث ذرة واحدة متوجعة متلهفة تتوق الى التلاشي والنسيان . " (١)

ولعل لثقافتها يدا في جمال القطعة التي تكتبها ، فهي تخاطب ابا الهول بعواطفها ومعرفتها معا قائلة : " انت الذى نحتك الكلدان قبل ان يرسموا دائرة البرج " . (٢) او تخاطب نهر الصفا قائلة : " هنا اجتمعت بلا بل ارفيوس ، لتعيد ذكرى اوريديس ذات القلب الكسير . " (٣)

ولئن اخذ عليها التابعي استعراضها معلوماتها العامة قائلا : " ما من مرة كتبت الا استشهدت بمثل لاتيني او حكمة صينية او بيت من الشعر العربي ، او كلمة مأثورة لشكسبير الانكليزى او دانتي الايطالي . " (٤) لئن اخذ عليها هذا ، فانه يوحي بتباهيها بالمعرفة ، وهو شأن العظماء ، ولعلها لم تكن لتقصد الى ذلك عمدا ، اذ ان الثقافة اصبحت جزءً لا يتجزأ من نفسها ، بحيث غدت تصدر عن قلمها دون افتعال .

وتبدو في الكتاب مقدرتها على الشمول وعلى النظر الى الاشياء من انحائها المختلفة ، ففي مقالتها العيون ، يلازم المرء شعوره بان ليس هناك نوع من انواع العيون لم تذكره ، ان بالشكل او باللون او بانواع العواطف المحتدمة فيها :

العيون التي تشعر

والعيون التي تفكر

والعيون التي تتمتع

والعيون التي تترنم

---

(١) زيادة . ظلمات واشعة ص ٦٧
(٢) المصدر نفسه ص ١١٤
(٣) المصدر نفسه ص ١١
(٤) اخبار اليوم عدد ٥٤٧ ص ١٢

وتلك التي عسكرت فيها الاحقاد والحفائـــظ
وتلك التي غزرت في شعابها الاســـرار. (١)

ولعلها كانت تشعر شعورا قويا بوحدة الوجود ، بحيث كان خيالها يعانق المرئيات وما وراءها " من ذرة الرمل الى الشجرة المزهرة ، الى الهواء الملامس افنانها ، الـــى طير سابحات تحت الغمام ، الى فتيت شموس تلبد في حضن المجرة ، الى ابعـــاد لا يدركها غير الخيال العظيم . " (٢) وقد اصبح الايحاء لديها قويا في انتقـــاء الكلمات المعبرة ، وجعل المعاني محسوسة مجسدة : " المياه تتدفق اثر الميـــاه مهللة مكبـــرة ، وقد رفعت اصواتها في الغناء والنحيب " . (٣) وكثيـــرا مـــا جعلت السماء مرتعا طليقا لخيالها ، فكانت تناجي كواكبها وعالمها الاثيرى . (٤)

ويمثل ظلمات واشعة جانبا كبيرا من نفسيتها ومن مثلها ونظرتها الى الحياة فلعلها ادركت قيمة التفاؤل ، وان كانت بطبيعتها ذات كآبة اصيلة ، فاستخرجت من كوة الحياة منفذا لالامها ، ثم سارت ووجهتها مرقص الحياة ، املة ان تلمس الفـــرح بجنانها ، فعادت بظلمات الاستخفاف بالتفاهة ، وبالاشعة المنبعثة من الحياة القديمة ، وقد اكتشفت المها وبعد غوره ، وشعرت انه ملازم لها دائما ، لانه " حيث تكون العاطفة متيقظة مرهفة ، فهناك النزاع الاليم والاستشهاد . (٥) غيران المها لا يعيش طويلا على اليأس ، فهي سرعان ما تنفث البهجة بالاشادة بالخلق والابداع ، مجانبة بـــث الخوف والانكماش في نفس قارئـــها .

---

(١) زيادة . ظلمات واشعة ص ٤٦
(٢) المصدر نفسه ص ٦٧
(٣) المصدر نفسه ص ١٣
(٤) المصدر نفسه ص ١٤ و ١٣١
(٥) المصدر نفسه ص ٣٤

وللجلد قيمة مثلى لديها ، خاصة في سبيل التغلب على مصاعب الكون : " لقد جاهد ضد العناصر وضد الفصول ، ضد الاجناس والجماعات ، ضد الاصطلاحات المتحجرة والمجازفات المتهورة ". (١) واذ نفذت الى خفايا الانسان ، ادركت ان الفرح يتصدر الاكواخ مثلما يهجع في القصور وعرفت "كيف يعز الناس وكيف يذلون ، كيف يجوعون ويشبعون ، كيف يؤلمون ويتألمون ، كيف يستبدون ويظلمون ." (٢)

ولعل الضمير المرهف الذى رافق حياتها واوسعها محاسبة وتحذيرا ، كان يطل عليها كلما حاولت ان تتعرف الى البهجة عن طريق الوسائل التي تبهج غيرها ، ففي السهرات الراقصات تقول بعد ان مرحت ورقصت : " واستيقظت في الغد فاذهلني ان اشعر بترضرض في روحي ، وبطعم الغثاء في فمي ، وباثقال تميع على صفحة وجداني ، كانها احمال الدماء . " (٣)

وقد ظل هذا الضمير مسلطا عليها ، بحيث جعلها لا تسيغ من الجذل الا اعلقه بالفكر والروح وكثيرا ما تصور مثاليتها التي يغمرها شعور الانجذاب ، نحو كل ماهو صالح وعظيم :

" ما سمعت وصف بلاد الا سعى اليها اشتياقي
ولا حدثت عن بسالة امة وسؤددها الا تمنيتها امتي
ولا اصغيت الى صوت قوم الا خلته صوت يأسي وامليي . (٤)

---

(١) زيادة . ظلمات واشعة ص ٦٦
(٢) المصدر نفسه . ص ٧٠
(٣) المصدر نفسه . ص ٨٠
(٤) المصدر نفسه . ص ١٠٤

وفي ظلمات واشعة كتبت مي مقالتها : " انت ايها الغريب " التي قالت عنها : " انها اعلق ما كتبت بروحي " .(١) ووضعت كذلك "عند منعطف السبيل " وكلاهما موضوع وجداني ، وقد اختلف الرأى في امر ملهم مناجاتها ، حيث كانت تفيض عن طريق الايماء ، مبعدة جهدها عن التصريح ، ولعلها كانت تخاطب في الاولى جبران ، وفي الثانية احد الذين اجتمعت اليهم ، قبل ان تقوى صلتها بجبران ، اذ انها تذكر في الثانية امورا محسوسة لا يمكن ان تكون قد عنت بها جبران ، وهي لم تجتمع اليه مرة واحدة .

وفي المقالتين تصوير دقيق ، هو من الواقعية بمكان كبير، تقول مثلا : " لماذا كنت تتقن خطواتك اذ تعلم اني ارقبها ، وتنغم نبرات صوتك وتنوعها اذ تعلم انها واصلة الي " ؟(٢) كما انها تبدى عاطفة المرأة ، يهيمن عليها انكار الذات : " سأتصورك عليلا لاشفيك مصابا لاعزيك ، مطرودا مرذولا لاكون لك وطنا واهل وطن . "(٣)

واذا كان لجبران تأثير في مي ، ففي الطريقة التي راقتها للتعبير عن ذاتها على الشكل الذى يعبر فيه جبران عن نفسه ، بالرمزية التي لم تعهد في مي قبل تشربها انتاج جبران ، فمي تنطلق في ادبها مباشرة ، دون ان تستعير للاشياء ما يدل عليها ، غير انها في بعض مقالات ظلمات واشعة ترمز بما يبعث خيال القارئ ففي نحو مرقص الحياة تقول : " في مركبة الغريب سرت مسافة طويلة ، قطعنا جبالا واودية ، لم ارمنها الصعاب ، ولم تتعثر قدمي فيها بالصخور . "(٤)

---

(١) " العصبة " . المجلد التاسع العدد الخامس ص ٤٨٥
(٢) زيادة . ظلمات واشعة ص ٩٩
(٣) المصدر نفسه ص ٩٦
(٤) المصدر نفسه ص ٣٦

ويمكن للمرء ان يلمس هنا الرمزية كما يلمسها في اماكن اخرى من ظلمات واشعة . [١] ولم تقلد مي جبران ، حبا في المحاكاة ، وانما قد يكون انها وجدت في طبيعة افكارها ما يلائم تلك الطريقة الرمزية فاحتذتها ، او لعلها باعجابها الواعي في انتاجه ، قد استرسلت دون قصد للاتيان بما يشبه طريقته . فلو ان بعض الجمل ، انتزعت من صفحات ظلمات واشعة ووضعت في متن مقالات جبران على انها له ، لما جاءت متنافرة غريبة .

ولعل المقالة المفتعلة في بنائها هي نشيد نهر الصفا ، حيث تجعل اختيارا مقصودا لكلمة ملائمة في لفظها اخر كل جملة ، مما يجعل النثر متكلفا ، في حين كانت تكفيه خيالاته ليكون شعرا . [٢]

كما ان مقالتها كن سعيدا ، تفتقر الى الانسجام المنطقي ، حيث توجد للغني والفقير ، وللشاب والشيخ ، وللرجل والمرأة ، وللصحيح والسقيم وغيرهم ، توجد اسبابا لسعادتهم ، الا انها نبهت السقيم الى سرشقائه بالا يكون صحيحا ، حين ذكرت سعادة الصحيح ، فلو انها اقتصرت على تذكير السقيم والشيخ ووضيع الحسب والمرأة بما يجعلهم سعداء ، دون ان تعرض لهم افضلية الشاب والرجل والصحيح ورفيع الحسب ، لجاء الموضوع اكثر تسلسلا فكريا . ثم ان الاخلاص في النبرة ينقص هذا الموضوع ، ولعلها كانت تكتبه املاء لنزعة الواجب الفني الذى همه خلق الحبور ، لانها لم تكن هي نفسها مقتنعة بما تقول ، فقد كانت هي امرأة وصحيحة وشابة ، ومع ذلك كله لم يكن يلوح عليها انها كانت سعيدة تلك السعادة التي دعت اليها .

---

(١) زيادة . ظلمات واشعة ص ٤١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨
(٢) المصدر نفسه ص ١١

وقد قرظ الريحاني ظلمات واشعة قائلا : "في العيون سحر كل العيون ،وفي دمعة على المفرد الصامت " تردد صدى التغريدة الخالدة ، وكن سعيدا ، هي السعادة بالذات ، واين وطني هو اجمل من كل الاوطان في هذه الايام ، والسهرات الراقصات ، الذ والطف من كل سهرة . " (١)

باحثة البادية

اقترحت عليها مجلة المقتطف سنة ١٩١٩ ، وضع دراسة نقدية عن باحثة البادية ، فاستجابت مي لتلك الفكرة ، ورأت فيها واجبا مقدسا ، فكتبت بحثا نقديا قسمته الى اجزاء ستة وهي : "المرأة ، المسلمة ، المصرية ، الكاتبة ، الناقدة ، المصلحة . وحاولت ان تحدد معالم شخصية الباحثة في كل قسم من تلك الاقسام .

تبدأ بتمهيد تصف فيه لقاءها الباحثة وصفا عيانيا ، يجعل القارئ يتمثل امرأة من نساء عصر النهضة في اوائله ، ترسم في تنسيق بيتها صورة عن بيوت الاسر المصرية في تلك الفترة ، وتنعكس في مظهرها قيم العصر الاجتماعية في الزينة والمجاملة .

ثم تأخذ في سرد وقائع تلك المقابلة ،ولكنها لا تفعل ذلك دون اشارة حاذقة او نظرة ممعنة في كل امر تبديه الباحثة مهما كان يسيرا ، لتفسر على ضوئه ما اخذت به نفسها من تحليل شخصية الباحثة .

واول ما تبحثه شعورها النسائي وشخصيتها الانثوية ، لتقف منها موقف الدفاع حتى من لوم طفيف وجهه احد مقرظي النسائيات الى الباحثة ، حين اتهمها بانها استعملت الغلو البديعي في اثبات اوضاع لا وجود لها ، وانها صورت المرأة على ما

---

(١) "الهلال " المجلد ٢٩ القسم الاول . الجزء الثالث ص ٦٣

كانت عليه في الجاهلية الاولى ، فتجيب مدافعة : " اين الغلو البديعي الذى يشكو منه هنا الاستاذ المنتقد ؟ اين الغلو البديعي في ما تقرره الباحثة من ازدراء الشرقيين مسلمين كانوا ام مسيحيين بالبنت في جميع ادوار حياتها وتفضيل الصبي عليها قبل ولادته وبعدها ؟ " (١)

وهي تطرى تمشيها مع طبيعتها في طرقها المواضيع التي تهم المرأة من زواج وطلاق وضرائر وتربية اولاد ، وكما توافقها في اكثر ما نبديه من آراء ، ولا تمسك عن ابداء ما يسنح لها من تعليقات .

ثم ان ميا تفهم بطبعها نفسية المرأة ، فتفسر شخصية الباحثة على ضوء هذا الفهم ، قائلة : " هي امرأة بكل معنى الكلمة . اى انها تبدى يوما خلاصة ما يجول في نفسها وتضطرب له جوانحها ثم يثب فكرها في يوم اخر ، فتثبت عكس ما جاءت به قبلا . " (٢)

فكأنها بتعرضها هذه النزعة في النساء ، تبرر للباحثة كل ما يمكن ان تكون قد اتت به من افكار متناقضة ، ليس من سبيل الدفاع ، وانما اعتقادا منها ان الفطرة النسوية متغلبة على الباحثة ، وانها تستجيب لها استجابة عفوية .

وكذلك تبدى مي خصائص المرأة ماذ تقول عن الباحثة : " هي امرأة بكل معنى الكلمة اى انها لا تريد ان يعرف الجميع خفايا ضميرها ولا تريد ان تجرح زائراتها " . (٣)

وتذكرمي ان الباحثة اختصت الزوجة ، بالقسم الاكبر من البحث ، ولعلها تتمنى لو ان الباحثة اجالت قلمها في الدورين الاخيرين من حياة المرأة وهما البنوة ،

---

(١) " المقتطف " . المجلد الرابع والخمسون ص ٣٤٠
(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٣
(٣) المصدر نفسه ص ٣٤٦

والامومة ، لانها معجبة بدقتها في عرض مشاكل الزوجة ، راجية لو اتيح للبنت والام من اهتمام الباحثة مثل ذلك .

اما دراسة مي للباحثة كمسلمة ، فانها تصور روحية مي بما يلابسها من مفارقة واعتدال ، اذ ترى ان الباحثة مثال المسلمة المتمسكة بدينها ، الاخذة بتعاليم نصوصه وشريعته ، وانها لا ترضى عن العادات المستحدثة كالرقص ، لان الشريعة لا تسمح بـه ، وهنا تبدى مي خلافا في الرأى مع الباحثة ، دون ان تتعرض لما جاءت به الشريعة ، فتوافق مبدئيا على الرقص كرياضة مفيدة ، ثم تقول مستلهمة شريعة خلقية وميلا روحي النزعة: " انا فتاة سافرة تسرى علي عادات مجتمع هو اقرب الى التفرنج منه الى اية نزعة اخرى ، واكاد اقول اني لا استحسن مراقصة الرجال للنساء " . (١)

ولعل خير ما تتبع مي من طريقة في عرض فكرة مخالفة ، هو ابداء الجانب الحسن من الامر المختلف عليه ، ثم التعقيب عليه بالنفي ، واحسن ما يمثل ذلك ردها على الباحثة في رأيها بمدارس الراهبات ، اذ ابدت الباحثة رأيا صارما في تلك المعاهد وانتهت الى القول : " ان احسن مدارس البنات في مصر ، هي مدارس الحكومة اخلاقا وعلما " . (٢)

فتجيبها مي : " حسبنا شهادة في مدارس الحكومة انها انجبت باحثة البادية . " (٣)

فكأنها تقسر القارئ على تمثل فضل مدارس الراهبات ، في المفاضلة بين رأيها المعتدل ورأى الباحثة ، وقد كانت مي خريجة احدى تلك المدارس .

---

(١) "المقتطف" المجلد الرابع والخمسون ص ٤٢٧
(٢) المصدر نفسه ص ٤٢٩
(٣) المصدر نفسه الصفحة نفسها

وترى مي ان الباحثة متعصبة لدينها ، ولكنها سرعان ما تتعصب هي لها ملتمسة لهذا التعصب عذرا اذ تقول : " اليست بشرا اوليس التعصب من اشد العواطف ملاصقة للنفس . (١) ويجدر هنا الالتفات الى ان هذا التعصب الذى تعذره مي في الباحثة ، قد كانت هي نفسها بريئة منه ، فلم تعجز عن رؤية ما في الاديان الاخرى من خير ، مع انها كانت متمسكة كالباحثة في دينها اما بحثها عن المصرية في باحثة البادية ، فهي تغيض فيه مدفوعة بولاء صادق لارض النيل ومصورة ذلك الرباط الخفي الذى يشد قلوب العرب الى مصر ، فيتمثل حينا باكبار ارضها ويتجمهر حينا اخر في اعذاق المحبة على ساكنيها .

واول ما تتناول الباحثة من مصرية الباحثة ظرفها ، فهي تسبغ تهكمها البرئ على الرجل ، وتأتي بالاشارات الموجهة اليه في تودد ظاهر ، واكثرها خلو من المرارة اللاذعة ، وتعرض اراء الباحثة المشحونة بالنكتة وتشير الى دقتها وحسن تصويرها ، حتى لتذكر رأى الباحثة في ارتباك المرأة المصرية في السفر والانتقال وتعقب عليه قائلة : " صدقت الباحثة ان طائفة من النساء الشرقيات ، لم تتهذب منهن الحركة ، فاذا مشين شعر الرائي بانهن منتبهات لحركاتهن مرتبكات فيها . "(٢)

اما الجانب الاخر الذى تتناوله مي من مصرية الباحثة ، فهو وطنيتها وهنا تبرز مي الداعية الى الحفاظ على جوهر الوطن ، فتحبذ رأى الباحثة في ايجاد مدنية خاصة بالشرق ، وتطرى تعلق الباحثة بكل ما هو مصرى ، ويدفعها التحمس لاقوال الباحثة الى ان تقول : " ها انا اصفق لها بقلبي وراحتي . " (٣)

---

(١) "المقتطف " المجلد الرابع والخمسون ص ٤٣١
(٢) المصدر نفسه ص ٥٣١
(٣) المصدر نفسه ص ٥٣٤

ولا يفوتها في هذا المضمار ان تضع نظرتها الخاصة في الوطن ، فتقول مفسرة معناه : "الوطن هو الاهل والاحباب والدموع والابتسامات ، وهو القبور الغاليات ومهد الذرارى المقبلات . " (١)

غير ان وطن مي يتناهى وراء حدود مصر ، في حين ان وطن الباحثة يتجمهر في ارض النيل ، بل ان وطن مي يمتد الى ما وراء الحدود العربية كلها ، اذ تقول : "ان الحب هو العالم الانور والافق الاطهر الذى تتلاشى عنده كل جنسية وكل تحزب". (٢)

ولعل هذه النظرة الرحبة للوطن ، هي التي تجعلها تحيي ما في الباحثة من مصرية قائلة : "لا اخشى ختم هذا الفصل بهتاف واحد ، لتحيى مصر ." (٣)

ثم تعطي مي مفتاح شخصيتها الادبية ، في بحثها عن الكاتبة ماذ تفسر العمل الادبي وتبين صعوبته ودقته ، وتقوّم ادب الباحثة ، بما استطاعت ان تتغلب عليه ، في نقل حركة النفس الى كلمات محسوسة .

وكأنها تغضي بسر ابداعها ، حين تقول ان بعض الكتاب ينقصهم "ذلك اللهيب الخفي الذى ينشر بين السطور اشباح النور والظلام " . (٤) ثم تطرى في الباحثة وضع الكلمة الملائمة بحيث ترى انه لا يمكن حذف كلمة جملة ، ولعلها لا تعني بذلك المعنى الالزامي ، بقدر ما تعني ان الباحثة ذات اسلوب مرن في اختيار الالفاظ ، اذ انها حذفت للباحثة بنفسها بعض الالفاظ . (٥)

---

(١) "المقتطف" المجلد الرابع والخمسون ص ٥٣٤
(٢) المصدر نفسه ص ٥٣٣
(٣) المصدر نفسه ص ٥٣٥
(٤) المصدر نفسه ص ٢٧
(٥) المصدر نفسه ص ٣٢

وتعزو مي بلاغة الباحثة ، الى كونها مسلمة ، ولها في ذلك رأى تعتقد فيه ان فصاحة العربية عند المسلمين تعود الى القرآن ، ولكن تمسكهم باستظهاره وحفظه عودهم الكسل الفكرى ولعل لمي العذر في ذلك ، اذ انها الفت الاجتماع الى المثقفين من المسلمين ، الذين كانت الثقافة الدينية تلعب دورا كبيرا في تكوينهم الادبي ، مثل طه حسين ومصطفى عبد الرازق والرافعي والعقاد ، وهي تقران هؤلاء تخطوا حدود تلك الثقافة ولكنها تجعل انتقادها موجها الى الاكثرية من المسلمين ، ولعل تلك الاكثرية ، كانت من الجهل بحيث لم تقدم على حفظ القرآن ، فضلا عن سكون الخاطر الذى كانت تبديه والذى لا يمكن له ان يعثر على الاستشهاد الملائم في الظرف المناسب ، وهو لا يشير الى كود عقلي ، اذ هو مقتصر على الاقلية المتعلمة . كما انه لم ينج غير المسلم من الكسل الفكرى ، الذى كان مسيطرا في اوائل عصر النهضة ، ولو ان هذا الحكم صح على القرآن ، لكان صحيحا على الابيات الشعرية التي يستظهرها الناس ، دون ان تكون عائقا لنشاط تفكيرهم .

فكأن مي تعزو الى القرآن ، الاحاطة الكلية بنواحي الفكر ، فضلا عن فخامة الاسلوب وهي هنا تتميز عن الباحثة ، بما تبديه من اشادة بما في الاديان الاخرى من خير وصلاح . واذا كانت مي قد كلفت باسلوب الباحثة ، فانها تبدى كعاقدة امينة مساوئه قائلة : " ان الباحثة لم تكن على شيء من الروحانية ، وكانت تقدر الظواهر وتتكيء عليها في اشياء كثيرة . " (١)

ولعل مي كانت محقة في هذا ، فالباحثة توكأت على الظواهر حتى في الدين فقد انحازت الى بعض المظاهر التقليدية في الاسلام ودافعت عنها ، متناسية جوهر

---

(١) " المقتطف " المجلد الخامس والخمسون . ص ٣١

الدين ولبه . اما بحثي عن الناقدة ، فتبدى فيه اطوار النقد ، وترى انه فطـرى ينمو مع نمو الطفل ويتسع باتساع مداركه ، وانه شامل لا ينحصر في اناس بعينهم ، ثـم تحصر النقد الادبي في شرطين ، لعلهما المذهب النقدى في بحثها :

"اولهما ان يكون قوة فطرية مكتملة لا جزئية ، وثانيهما ان تكون الملاحظة والاطلاع والاختبار قد اوسعته تهذيبا وتصفيـة . " (١)

ثم تأخذ في تقديم الباحثة كناقدة اجتماعية ، حيث تبدأ بعرض دفاع الباحثة عن المرأة وتعقب عليه بوجهة نظرها ، ملتزمة رنة الباحثة في التظلم ، مضيفة خلاصة تفكيرها . وفي عرض النظرتين ، تبرز مي باعتدالها ، ولا تدانيها الباحثة عندئـذ الا في خوضهما موضوعا مشتركا . وحين تبدى مي قيمة نقد الباحثة ، تلمح الى ما يجب ان يتوفـر في النقد من شروط قائلة : " من الناس من لا ينتقد الا بمرارة وبقصد الايذاء والايلام والانقاض من قيمة المنتقد عليه . " (٢)

وتبدى مي اعجابها بموضوع تعدد الزوجات الذى تبحثه الباحثة ، فتحمد فيه احاطتها وحسن تدبرها ، الا انها تحجم عن تبيان رأيها الخاص في مساوىء الضـرة ، متعللة بالقصور عن ايجاد حل لها ، لانها لم تعان رزايا ذلك البلاء ، لكونهـا مسيحية ، ولعلها هنا تنافي مقدرتها على تفهم الاشياء بذهنها ، دون ان تكون قـد جربتها تجربة فعلية ، فقد اوجدت كثيرا من الحلول الاجتماعية التي لم يتفق لها تجربتها ولعلها عمدت الى هذا العذر ، حرصا على الوئام بينها وبين التقاليد الاسلامية التي كانت

---

(١) "المقتطف" المجلد الخامس والخمسون ص ٤٩٧

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠٢

تكن لها احتراما خاصا . وتقدم في بحثها عن المصلحة خبرا تاريخيا طريفا ، يدفع الشوق الى نفس القارئ ليتلمس ما تنوى قوله اذ تبدأ : " قدم يوما احد وزراء روسيا الى نقولا الاول ، تقريرا ضمنه اقتراحات توسم فيها خيرا للاصلاح والارتقاء ، فلما انتهى القيصر الى هذه الكلمة ، كتب على هامش التقرير : الارتقاء ؟ فلتحذف هذه الكلمة من اللغة ." (١)

فهي تأتي بمثل هذا الاستشهاد الملائم ، لتخلص الى القول بحيوية الاصلاح وضرورته لدى الامم والشعوب .

وهي تطرى في الباحثة ، اقدامها وجرأتها في معالجة الامور ، الا انها تنتفض بقوة الحنان المالئ اعطافها ، مسائلة الباحثة في امر واحد : " كيف لم تفكر في وجوب اهتمام النساء بذوى الفاقة ، وضرورة تكوين جمعية خيرية نسائية بين المسلمات؟" (٢)

اما فيما عدا ذلك ، فان ميا على انسجام مع مطالب الباحثة ، بحيث تكف عنها التهجم القائل انه لا ينقصها سوى العمامة لتكون شيخا ، قائلة : " اني اتفاءل خيرا بتمسكها بالمصرية والاسلام ليكون المتعنتون اكثر ثقة برأيها ." (٣) كما انها تجارى الباحثة في الدفاع عن حق الفتاة في العلم ، قائلة بلذعة لا تخلو من روح فكاهة : " هل اوجد البارى هذه الحرية والعدالة جنبا الى جنب ، فكتب على كل منهما خصوصية للرجال ، وحقوق التمتع محفوظة للرجال " . (٤) واما ما تبديه مي في حق العلم ، فهو يفوق ما ارادته الباحثة سعة وشمولا ، حتى ان ميا ترى انه من الضرورة على كل فتى

---

(١) "المقتطف" المجلد السادس والخمسون ص ٥١
(٢) المصدر نفسه ص ٥٤
(٣) المصدر نفسه ص ٥٥
(٤) المصدر نفسه ص ٥٥

وفتاة ان يدرس علم القانون ، لانه في رأيها بمثابة علم الصحة الاجتماعية .

ويمكن ان يتلمس المرء الجدة في افكار مي ، كما يلمس التحرر الذى تشربته من عصر تقدم على عصر الباحثة ، ومن دين اقل قيودا اجتماعية من دين الباحثة الا ان احترام مي لتقاليد الدين الاسلامي ، قد يحول بينها وبين الطرحة التامة في عرض بعض الآراء . فهي مثلا تساند اقتراحا قدمه البعض من اجل سوق خيرية ، تبيع فيه الفتيان المصريات ازهارا مساعدة لملجأ ، ومع انها تؤمن ان اعمال البر تفوق الحماسة الوطنية ، شرفا اخلاقيا ، الا انها تتلكأ عن اعتبار رأيها جازما قائلة : " ليس ما اورده هنا الا سوانح لا قيمة لها ، في الاصلاح المرجو ، ولا اهمية لما اقوله ازاء ما يرتأيه اساطين المسلمين . " (١)

واذا كانت افكار الباحثة تجارى طبيعة الحياة الاجتماعية ، فان افكار مي تنزع الى تكييف الحياة ، واذا كانت الباحثة تجعل التعليم بمرحلتيه الزاميا ، فان مي تلتفت التفاتا حاذقا لتقول : " ان هناك تربية اخرى ، هي تربية الذات " . (٢)

وتختم بحثها مخاطبة الجالسين على مقاعد الدراسة فتيانا وفتيات ، مذكرة اياهم بما ينتظر منهم ، قائلة : " لو ذكرتم اننا في عصر عظيم ، لكنتم شيخ حكمة في شبابكم ، اننا في عصر لا مثيل له في التاريخ " . (٣)

لكتاب باحثة البادية في ما ارى قيمتان : ادبية واجتماعية .

اما القيمة الادبية ، فعديدة الانحاء ، وان يكن الاقدام على نقد قائم على ذوق وخبرة هو رأسها ، خاصة وانه جاء في عصر لم تتعد غالبية النقد فيه مرحلة الثناء والمجاملة او التهكم والنيل من المنتقد عليه .

---

(١) "المقتطف" المجلد السادس والخمسون ص ٥٧
(٢) المصدر نفسه ص ٥٩
(٣) المصدر نفسه ص ٦٠

ولعل للاجزاء التي قسم اليها البحث، فضلا في تيسير الالمام بالنقد من اطرافه الثلاثة ، اللفظي ، والمعنوي ، والموضوعي ، لقد عمدت مي الى الجمع بين الانواع الثلاث في الجزء الواحد فأتاح ذلك لها دراسة اوسع واشمل . كما ان خير ما لاذت اليه في نقدها ، الكتابة باسلوب خطابي ، حيث تقترن قوتا الاقناع والتأثير.

وقد اعتمدت في تأييد زعمها على الادلة المنطقية ، الا انها اكثرت من التوشية والتأنق فوفرت من اسباب الجاذبية في اللفظ ، ما استأثر بالحس الجمالي على حساب تتبع البحث المعروض . واذا كان الذوق الادبي ، كما قال عنه الشايب ، انه " مزيج من العاطفة والعقل والحس، وربما كانت العاطفة اهم عناصره واوسعها سلطانا في تكوينه ومظاهره ".(١) اذا كان الذوق كذلك ، وحاولنا تطبيق هذه المقاييس على مي ، وجدنا انها كانت ذات ذوق ادبي رفيع ، فالعاطفة المشتعلة والعقل المدرك والحس المرهف اعانت جميعا على اخراج " باحثة البادية " على الشكل الذى قال فيه صروف : " انه فتح جديد في ميدان النقد الادبي باللغة العربية ".(٢)

وقد اعتمدت مي على الدراسة العميقة والخيال الخصب ، وانتهت بعرض خلاصة عن اثر الباحثة الاجتماعي والادبي ، بعد ان اكملت وضع خطوط عامة ، كانت تنقص الباحثة وفتحت بذلك آفاقا جديدة للبحث متصلة بموضوع الكتاب . وهذه هي اهم شروط النقد الادبي في البحث كما يقول Genung .(٣)

واما القيمة الاجتماعية ، فهي في الموازنة بين عصرين ، تجلى مفهومها لدى كاتبتين ، راعت كل منهما قيمة مجتمعها في الادب والاجتماع ، ورسمت بارائها ومثلها صورة

---

(١) الشايب . احمد . اصول النقد الادبي . مطبعة الاعتماد . مصر ١٩٤٢ ص ١٢٠
(٢) صروف . فؤاد . على الطريق ص ٢١٤
(٣) الشايب . اصول النقد الادبي . ص ١٤٦

عن احوال امتها في فترة معينة . ولعل ميا لم تكن صريحة كل الصراحة في عرض نظرتها الاجتماعية ، اذ كانت تحمل آراءها طابع روحها وعقلها معا ، بحيث كان فكرها متأرجحا بين العاطفة والادراك ، حتى انها كثيرا ما لجأت الى الاعتذار او الصمت في مواجهة بعض القضايا الاجتماعية ، خشية المساس ببعض التقاليد العريقة .

وقد اثبتت مي شخصية الناقدة العادلة ، بحيث لفتت الانتباه الى قيمة الباحثة الادبية والاجتماعية ، دون ان يكون لتنافس الجنس الواحد والاشتراك في المهنة الادبية تأثير في نزاهة الحكم الامر الذى كثيرا ما طغى على نظرة النقاد . ولعل جبر ضومط ، لم يكن مغاليا ، اذ قال عنها : " عظمة نفس واخلاص ، قلما رأيت مثلهما في غير مي ."(١)

اسلوب مي

كتبت مي باسلوب لم تكن فيه مقتفية اشخاصا بعينهم ، ولا تابعة مدرسة فنية خاصة بل كان جل فيضها ما عمرته ذاتها من عفوية وابداع ، وما اضافت اليه العلوم والفنون الغربية والشرقية على السواء ، من طابع جزل ينضح بساطة وجمالا .

ولعل للدراسة الجادة ، فعلا كبيرا في اضفاء مسحة خاصة على طريقة تعبيرها فكثيرات قبلها ، راودتهن فكرة الاصلاح مثلا ، ولكن ميا لم تقف عند حد الشكوى والتذمر ، بل مهدت للاقناع خبرة المؤرخة ، وتثقيف المرشدة ، عارضة الرأى الصائب ، داعية الى الاخذ به .

ويبدو اثر الثقافة الغربية في اسلوبها ، وليس هذا غريبا ، وهي التي اجادت من اللغات الاخرى ، ما اتاح لها ان تكتب فيها شعرا ، وقد علق احد اساتذة هامبورغ برأى طريف على تأثر اسلوب مي بباقي اللغات ، قائلا ان المرء يجد فيه " توازن الانكليزية

---

(١) "المقتطف" المجلد السابع والخمسون ص ٥٠٢

ودعابتها ، ودقة الالمانية واحكامها ، ورشاقة الفرنسية ، وحيوية باقي اللغات اللاتينية". (١)

وقد يكون من حظ العربية ، ان ميا لم تأخذ نفسها على اتقانها الا بعد ان اجادت اللغات الغربية ، فاستطاعت بذلك ان تنقل الى العربية خصائص تلك اللغات وميزاتها اللفظية والفكرية ، وظلت كتابتها تشي بتأثرها ، حتى لتوهم انها تصوغ معانيها في ذهنها بالفرنسية والانكليزية قبل ان تعبر عنها بالفاظها العربية ، ولعل المرء يلحظ ذلك في انفاسها المفاجئة التي تتراوح بين الطول والقصر ، والتي لا تأخذ نفسها كثيرا على المزاوجة والتكرار بين الجملة واختها او المعنى واخيه ، كما يفعل عادة كتّاب العرب .

ويلازم ميا في اسلوبها منطق في عرض افكارها ، وتسلسل هندسي ، ففي وصفها البحر تقول : " البحر هو احد اقانيم حبي ، وحبي مثلث الاقانيم ، السماء والبحر ، والعيون " . (٢)

ثم تصف كلا من هؤلاء ، بمقطع قصير ، فكانها تجعل لها تقول اولا وثانيا وثالثا وكثيرا ما يبدو مثل هذا العرض في مقالاتها " كالعيون " (٣) " وكن سعيدا " (٤) " والموضوع التائة " (٥) وهي تلون في طريقة عرض افكارها ، تلوينا شيقا ، فلا تكاد تنتهي من فقرة وهي على لون معين من السرد ، حتى تنتقل الى غيرها ، واضعة فكرة اخرى بطريقة مباينة ، فمثلا تأخذ موضوع الساعة المفقودة ، وتبدأ بعرض شرائها الساعة ، ثم تنتقل الى تبيان الشبه بين الساعة والكون ، ثم تضع صيغة تعجب في الفقرة التي تليها ، ثم تعود

---

(١) "المسرة" المجلد ٢٨ ج ١ ص ٩٦
(٢) زيادة . الصحائف ص ١٦٢ - ١٦٣
(٣) زيادة . ظلمات واشعة ص ٤٥ - ٤٨
(٤) المصدر نفسه ص ٧٢ - ٧٩
(٥) المصدر نفسه ص ٨٦ - ٩٢

الى الاستطراد ، ثم تنتقل الى الاستفهام الانكاري ، ولا تلبث ان تستخلص الحكمة بحيث تغدو القطعة نابضة متموجة .

كما ان لمي مقدرة على رسم الصور الحية في ذهن القارئ فكثيرا ما تصور لوحات زاخرة ولعل هذا يعودّ الى تضلعها من مواخاة اللفظة الملائمة بالمعنى المناسب ، مع تملكها خيالا شاملا يعرف للدقة قدرها ، فحين تخاطب الشرق ، تعد المرء في عبارات دقيقة ، ليتمثل الشرق بروعته وضعفه ومقومات رقته وعنفه :"

" يا شرقي الكبير الرهيب الرؤوف

يا شرق الطرب والحميا والنخوة والشدة والعاصفة كريح السموم ." (١)

ولمي ايضا قدرة على الابتكار وتوليد المعاني الطريفة . وليس غناها الفكري باقل من غناها اللفظي في رسم فكرة ما ، ففي هذه الفكرة مثلا توازى الالفاظ معانيها قائلة : " لكل جمهرة من الناس ، في كل بقعة من بقاع الارض شؤون عدة ، اذا ما عولجت واستثمرت ونظمت وحسن التصرف فيها ، اصبحت تلك الجمهرة شعبا قامة ، وصارت تلك البقعة بلدا فدولة وفي كل بلد صناعة وتجارة وعمارة وميكانيكا وادارة وقوانين ." (٢)

وتغلب على اسلوبها روح العقلية العالمية . وهي تكشف سر ذلك بنفسها حين تجيب سؤال احد المحررين قائلة : " ولدت في الناصرة من اب ماروني وام ارثوذكسية ، فلم يكن ثم مجال في نفسي للتعصب لاحد المذهبين ، ثم تعلمت التعليم الابتدائي ، في مدرسة للراهبات الاجنبيات في عينطورة ، فلما قدمنا مصر ، تعلمت على اساتذة كثيرين ، مختلفي الرعوية ، ولعل معرفتي لتسع لغات ، قد زادت في حدود وطنيتي

---

(١) زيادة . الصحائف ص٦

(٢) زيادة . مي . رسالة الاديب الى الحياة العربية . ص٥

وجعلتني انظر الى العالم ، كانه وطني الاكبر ولعل ايضا سياحتي في اوروبا ، قد زادت في نفسي هذه العقلية ." (١)

وربما كان لانعكاس تلك العقلية في اسلوبها ، ما جعلها تخرج عن دائرة التفكير المحلي ، الى التفكير المطلق الذى هو ميزة الاداب الحية .

وكثيرا ما يحلو لمي ان تضع نكتة ، من خلال بحث رصين ، او هي بالاحرى ايماءة او لمز يأخذ قالب النكتة ، بما تضفيه مي من فطنة لاذعة . فهي تقول من رسالة الى صديقتها يعقوب صروف ، بعد قراءتها بحثا له عن فولتير ودالمبير: "كنت اقرأ مسبحة الله ، لانه ابدع هذه العقول الكبيرة ، والنفوس السامية والاذهان المتوقدة ، مقابلة بين هذه العقول وبين عقل احدى جاراتنا الاسرائيليات ، التي كانت في ذلك الصباح ، قد اقامت القيامة بين برابرة الدار وطهاتها وخدمها اجمعين لتصل الى حل هذه المسألة الرياضية الهائلة ربع الخمسين كام ؟" (٢)

وقد استطاعت بالفكاهة التي هي افعل في النفس من الارشاد ، ان تتنذر على بعض الاوضاع الاجتماعية ، وتنقدها نقدا محببا ، فقد لمزت شعور الرجل بالسيطرة قائلة : " اشد الملوك فرحا بهز الصولجان ، وارفعهم للرأس كبرا وتيها ، تحت ثقل التيجان ، هم ذوو العروش المتداعية للهبوط ، والرجل ملك متداع عرشه ، لان ريح الفوضى تهب عليه من كل جانب ، وخطوات الارتقاء النسائي ، تتوالى متكاثرة متمكنة مع مرور الايام . " (٣)

---

(١) "الهلال" المجلد السادس والثلاثون . الجزء الثاني . ص ٦٦٠
(٢) زيادة . الرسائل . ص ٤٦
(٣) المصدر نفسه ص ٢٤

او تقول في الهزء من متفرنج يكره اللغة العربية : " فتح فاه فتحة انيقة ، تليق بالقرن العشرين ، وطفق حضرته يتكلم الفرنسية جاعلا الراء ، غينا غناء . "(١)

او هي تنبه بالفكاهة الى النظرة السطحية في الحياة قائلة : " لا يكفي ان يرقص امرؤ رقصة ، ويصفي الى اذاعة ، ويتحمل التحذلق والتأنق ، متكلما بخليط من لغتين او ثلاث ، لا يكفي كل ذلك ، ليكون شخصية ممتازة ، ترهب هيبتها الاكوان . "(٢)

وقد كان يروق لي ، ان تبحث المرات من اللفظ ، بسبكه في قالب حديث ، مستلهمة ذوقها الخاص ، وكثيرا ما وضعت غير المشاع من الكلمات ، او قليل الاستعمال في تركيبه ومعناه كقولها مثلا : " في احضان المياه الغدافية ".(٣) " الى ابراج خاويات وشموس متجلدات ".(٤) والاغلب استعمال خاوية ومتجلدة ، او هي تصوغ من الاسم صفة ، تماديا في اظهار الوصف كقولها : " الليل الأليل "(٥) او تأتي احيانا بالصفة غير المشاعة : " تتموج حركة الحياة النضناض متتابعة متقطعة ".(٦) كما ان لها ولعا خاصا ، في الاتيان بالمترادفات : " آجا مع المجهولات ، ملعلعا مع الالات ، حافا في حفيف الافلاك ، داويا بجميع انغامه ونبراته ".(٧) وكذلك في الاتيان بالمطابقات: " يرى الاعراس والجنازات والمواليد والوفيات ، يتخللها العوز والبطر والمرض والعافية والخيانة والامانة والدعوى والتطير والضلال والهدى . "(٨)

---

(١) زيادة . بين الجزر والمد . ص ٨٧
(٢) زيادة . رسالة الاديب الى الحياة العربية ص ١٣
(٣) زيادة . ظلمات واشعة ص ٢٤
(٤) المصدر نفسه ص ٦٣
(٥) المصدر نفسه ص ٨٥
(٦) المصدر نفسه ص ٦٨
(٧) المصدر نفسه الصفحة نفسها
(٨) المصدر نفسه ص ١٠٩

وقد قال مارون عبود : " عندى ان ميا ليست ممن يرسلون المقال عفو الخاطر بل هي تنقح وتحك ، وان كان الحطيئة عبد الشعر ، فمي امة النثر ". (١)

ولعل اكثر ما يعني ميا في انتاجها الوشي والتلوين ، كما يعنيها الحرص الخاص على الانشاد والتوقيع ، وكثيرا ما وجهت اهتمامها الى ايجاد حركة متموجة في نفس القارئ ، فهي لا تسيخ من اللفظ ، الا ما تفرد في موسيقاه وشجوه ، حتى انها لا تكاد تكتب المقالة ، حتى تسلط عليها شعورها الجمالي ، فتجهد فكرها في ابسط الجمل كما تجهده في اعقدها ، فقد كتبت مرة الجملة التالية : " فرب زفرة حزن او صيحة نهوض وجدت صداها . " (٢) فاستبدلت كلمة نهوض ، بلفظة استبسال .

ويعتقد منصور فهمي ، انها تستعمل صيغة افعل ، دلالة على الوصف ، لوقوعها من نفسها ، وتستعمل صيغ المبالغة من اسم الفاعل ، لتكون ابعد تأثيرا في قارئها . (٣) وقد حظي اسلوب مي ، بالتفات الكثيرين ممن حاولوا التدليل على سر جماله ، خاصة وانه جاء في عصر ، كان فيه الكثير من بقايا التعبير القديم من سجع ومحسنات . فقال ابو شبكة : " تتصرف بلغة سليمة مهذبة ، وعبارة صافية ، فيها جمال الشعر وروعته ، وسلامة التفكير واتزانه . " (٤) كما قال ماورن عبود : " في منثور مي رائحة شعر زكية وفي تعبيرها موسيقى بعيدة الاثر . " (٥) والحقيقة ان نثر مي يعكس شعرا في روحه وصفائه ، ولعله لا ينقص بعض مقالاتها ، سوى النظم ، لتكون قصائد ويزعم جميل جبران ميا تتلمذت على جبران منذ عرفته ، فبدأ تأثيره في صيغتها . (٦)

---

(١) "المكشوف" . عدد ٣٣٨ المجلد ٨ ص ٤
(٢) فهمي . محاضرات عن مي . ص ١٣٥
(٣) المصدر نفسه . ص ١٣٣
(٤) "الجمهور" العدد الخامس والسبعون السنة ١٩٣٨ . ص ١٣
(٥) المكشوف مجلد ٨ العدد ٣٣٨ ص ٤
(٦) جبر . مي في حياتها المضطربة ص ٥٦

ويشاركه مارون عبود في هذا الرأى ، فيقول : "ضمت الى قسماتها الفنية بعض ملامح جبرانية ريحانية [١] . ولعل روز غريب تحيط باهم التأثرات التي ظهرت في اسلوب مي ، فتقول : " فيه ترجيع جبران وموسيقى الشعر المنثور ، وخيال الرومنتيكية الفرنسية او الالمانية ، واناقة العربية ، الاصلية ، وفيه ذاتية الادب المهجرى وروحانيته وغموضه وتهاويل صوره . " [٢]

وتعتقد سلمى الصائغ ان لمؤلفات غوستاف لوبون يدا في صقل مواهبها الكتابية . [٣] وتنحو مي في البحث الاجتماعي ، منحى سهلا ، تنتقي فيه العبارات الواضحة الجزلة ، في حين تشيع المنطق والتأمل حول البحث النقدى ، وتذهب في الوجدانيات الى اختيار الالفاظ الموحية ، ووشيها بصبغة الغموض . وهذه الصفات مجتمعة ، تجعل انتاجها سهل المتناول بحيث يمكن القول ان ميا تكتب لكافة الناس ، لا لطبقة خاصة ، ومن اجل ذلك حملت معانيها المثل العليا التي كانت تهيب بالناس جميعا ليرتفعوا عن النزعة المادية التي كانت ولا تزال تسيطر عليهم .

ولعل ايمانها باللغة العربية ، وبامكانيتها على الافصاح ، دفعها ان تعمل ذهنها في استعاراتها ومعانيها ، بحيث استطاعت ان تتفرد باسلوب جزل مرن ، يطاوع نزعات روحها ، وبادا يحمل صبغة فردية ، في العصر الذى شاعت فيه المحاكاة ، وعم التقليد .

---

(١) المكشوف . مجلد ٨ العدد ٣٣٨ ص ٤
(٢) صوت المرأة . المجلد الخامس العدد ١٢ ص ١٤
(٣) صائغ . النسمات . المطبعة الادبية . بيروت ١٩٣٣ ص ١٤٢

مي ومختلف الاغراض الادبية

اكبت مي على الكتابة ، بعد ان تمثلت ما قرأت ، مستلهمة موهبة حباها الجهد اصالة فحاولت ان ترسل قلمها في كثير من الاغراض الادبية التي عالجها النثر .

اما في الشعر ، فقد طلعت بشطر بيت واحد ، هو : "عرفتهم فاضحى القلب رقا" .(١) واعياها العجز ، فاقلعت عن القريض ، مدركة ما للنظم من قيود لم تقدم على اقتحامها . الا انها ادلت بالاراء النقدية الجديرة بالاعتبار فيما يختص بالشعر ففسرت اسباب القحط الشعرى في العالم ، وعزت ذلك الى روح العصر الذى نعيش فيه ، كما رات ان الشعر عاطفة ذائبة او فكرة متوقدة ، او خاطرة عميقة سكبت في قالب موزون الكلام والنغمة .(٢) اما النثر ، فآثرته بعنايتها ، ووجدت انه خير معبر عن حاجات الادب في عصرها ، والمجال فيه واسع للخصب والتنوع ، فتصرفت في شتى فنونه ، وكتبت المقالة والبحث النقدى والخطابة والرسالة والاقصوصة والترجمة .

ولعل المقالة نالت القسط الاكبر من انتاجها ، فاكثر كتبها ، جمع بعد ان كان مقالات متفرقة في الصحف ، ويرى مارون عبود ان ميا في المقالة متأثرة بالشدياق والحداد واسحق وغيرهم من كتاب القرن التاسع عشر .(٣) الا ان ميا استطاعت ان تحتفظ بطابعها الخاص في مقالتها بحيث يدل عليها ذوق مرهف في اختيار المواضيع المطروقة ، واسلوب نسائي تتناوبه الحماسة والعاطفة . والمقالة الوجدانية عندها شعر مسكوب ، متأجج الخيال والصور ، تلتمع فيه فطانة ودقة . كما تحرض ان تقصر مثل هذه المقالة على حجم صغير ، اذكاء للايحاء .

---

(١) جبر . مي في حياتها المضطربة ص ٧٧
(٢) زيادة . الصحائف . ص ١٩
(٣) المكشوف . مجلد ٨ العدد ٣٣٨ ص ٤

اما النقد ، فقد مارسته وبلغت في مضماره الى صعيد يؤهلها لتكون حجة الادباء ، يسألونها رأيها في انتاجهم ، ومن اولئك جبران خليل جبران ، ويعقوب صروف. وقد اوضحت فهمها للنقد كفن ادبي قائم بذاته مثلما اتخذته شاغلا ، واختصت الناقد باهتمامها ، فقالت عن عمله : " هو التحليل لتقرير ماهية كتاب او اثر". (١) وابدت مساوئ الناقد الذى همه الطعن والتحامل ، ثم اشارت الى ان ليس هناك من هو اشد حاجة الى الالمام بالوان العلوم ، من الناقد ، ليكون ذا قدرة على مسايرة فنه، وهي تفهم ان النقد " حرية لان لا تمييز في العبودية ". (٢) كما تدرك صعوبته ودقته ، وما يتطلب من ذوق مهذب وبصيرة نفاذة حتى لتساوى الناقد بالمؤلف .

وهي اذ تبدى رأيا نقديا ، تعززه بالحجة التي كثيرا ما تورد ها من الثقافة الغربية ، وقد تبلغ بها الثقة الى ان تقول بصدد نقد بيتين من الشعر العلمي لشبلي شميل ، " ارى عكس ما يعتقده كثيرون ، وهو ان هذا النوع من الشعر يزيد في ثروة اللغة وجمالها ". (٣) ثم تورد الامثلة من شعراء الغرب ، بحيث تبدى اقتناعها التام فيما تقول ، واحيانا ياخذ عليها الاقتناع فيودى بها الى ما يشبه المبالغة ، فقد اوردت ابياتا اخرى للشميل ، في الموضوع نفسه ، وقالت فيها دون ان تفسر اسباب جمالها : " لها من العظمة الجوهرية ما يغنيها عن النعت . " (٤)

ولعل ميا تساير المذهب الحرفي النقد الادبي ، وهو المذهب الذى يعرفه آبركرومبي ، قائلا : " هو النقد بمقتضى المقياس الذاتي الصرف ". (٥) فهي تستلهم ذوقها وخبرتها في تقرير الاحكام النقدية التي تصدرها ، وتضفي عليها طابعا موضوعيا ، لا يتأثر بالعلاقة الشخصية بينها وبين المنتقد ، او بين حكمها وحكم الاكثرية .

---

(١) زيادة . الصحائف ص٦
(٢) المصدر نفسه ص١٠
(٣) المصدر نفسه ص٢٨
(٤) المصدر نفسه ص٢٩
(٥) ابركرومبي . لاسيل . قواعد النقد الادبي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة مصر ١٩٤٤ ص ١٧٥

فقد تعرضت لشعر اسماعيل صبرى ، وهو الذى قيل فيه انه بحر وشمس وحديقة ، فقالت :

"ان صبرى باشا في شعره ينبوع صغير بلورى المياه عذبها ، ينبوع يرشح مرة البيت والبيتين والثلاثة ابيات ، على انه غير فياض ، لا يدهش بروعته ولا يرهب بجلاله ." (١)

وقد تنفي عن المنتقد عليه ، ما يدعي لنفسه ، كما فعلت بجبران اذ قالت :

"ان جبران خليل جبران المتمرد من اخلص اتباع القدرية والجبرية ، وهو ينزع اليهما بقوة اشد من الفكر والارادة ." (٢)

ولعل نقد مي لليازجية والتيمورية والباحثة ، هو اكثر ميلا لاظهار المحاسن ، وتبرير العيوب ، من نقدها انتاج الادباء ، كجبران وصروف مثلا . وربما فعلت ذلك مدركة وظيفة النقد ، الذى كثيرا ما ينبه الى اثر منسي ، او يرفع من شأن اثر مهمل فحاولت ان تسبغ على ادب الشاعرات ما يخولهن ان يقرأن ويدرسن ، فصرفت عنايتها النقدية في تتبع ما بحثن ، مع انه كان في وسعها ان تغني النقد ، بابحاث جادة طويلة ، وليس في سوانح ، عن ادب معاصريها او غيرهم .

فلو انها اقدمت على نقد يعقوب صروف ، في انتاجه كاملا ، لكان لتفضيلها كتابه سر النجاح ، قيمة اكبر ، اذ تقول : " سر النجاح صالح للساعات الوردية والساعات السوداء على السواء ، ومن جميع مؤلفاته ارى لهذا الكتاب مكانة خاصة ." (٣)

وقد ترجمت مي الى العربية بعض القصص ، كما جربت قلمها في الاقصوصة ، ومن اقاصيصها واحدة بعنوان " الشمعة تحترق " . (٤) تعالج فيها مشاعر راهبة تتأرجح بين طبيعتها البشرية وواجبها الديني المقدس ، ولعل ميا لا تبلغ في فن

(١) دمشقية . جوليا . المرأة الجديدة . مطبعة طبارة . بيروت ١٩٢٣ المجلد الثالث ص ٣٢٢

(٢) زيادة . الصحائف ص ٨٥

(٣) المصدر نفسه ص ١٩٣

(٤) "صوت المرأة" . المجلد الخامس . العدد ١٢ . ص ٥٤

الاقصوصة ، الشأو الذى تبلغه في فن المقالة او النقد ، فالفكرة لديها متغلبة على الاداء القصصي ، كما ان الشخصيات تتحرك في عالم بعيد عن واقع الحياة ، والحوار خطابي اشبه باسلوبها في المقالة .

اما ادب الرسالة ، فقد طرقته مي ، ولو ان رسائلها تنشر كاملة ، لوجد الادب العربي مادة غنية في تلك الناحية من نواحيه ، ولعل في القليل من الرسائل المنشورة ما يسترعي الانتباه ، فهي تسرد الحوادث التافهة في كياسة واناقة ، فقد روت الى جبران امر قص شعرها ، واخبرت صروف عن جارة لها ، ولكنها لم تفعل ذلك ، دون ان تأخذ من مثل تلك الحوادث ، طريقا الى الالماع عن فكرة خاصة ، كما ان حرص مي وحذرها من المكاشفة عن نوازعها وميولها ، يجعل لرسائلها قيمة خاصة ، من حيث دراسة شخصيتها على ضوء العفوية والانطلاق .

اما خطابها الاول ، الذى القته سنة ١٩١٣ ، لمناسبة انعام الخديوى على خليل مطران بوسام ، فقد كان حافزها الى اعتلاء المنبر ، وتجويد فن الخطابة صياغة والقاء . وابتدأته بالقاء خطبة بعثها جبران خليل جبران ، لتلقى نيابة عنه في الحفل ولم تلبث ان تلت خطابا من تأليفها .

ولعل خير ما تتبع مي في الخطابة ، سبيل الاستهواء ، حيث تلوذ بتحريك المشاعر ودفع الهمم واثارة الحماس ، وهي تحترم جمهورها ، وتفترض فيه مستوى عاليا من الثقافة بحيث تخاطب معرفته التاريخية والعلمية ، وكثيرا ما تردف مثل هذه الجمل التقريرية : انتم تعرفون ، " كلكم ذاكر بلا ريب بولين وكاميل وشيمان ". (١) كما تأبه لاستعمال التكرار في الجمل حينا ، وفي المعاني حينا اخر ، مما يجعل الكلام تمثيليا صالحا للصدور عن

---

(١) زيادة . كلمات واشارات . مطبعة الهلال . مصر ١٩٢٢ ص ٣٥

منبـر. وربما كان اميل زيدان متأثرا في حكمه عن خطابتها ، من المشاهدة العيانيـة ، اذ قال : " تعد الخطبة جيدة متينة ، اذا تساوى فعلها في نفس سامعها ، ونفس قارئـها ، ومن هذا النوع خطب الانسة مي . " (١)

فقد لا تزدهي القارئ حماسة السامع في "كلمات واشارات" الذى هو مجموعة ما القت من خطب في المناسبات المختلفة ، اذ تغلب على الكثير من الخطب ، لفتـات تشي باتقان مي فنون المجاملة ، وحسن التكييف مع الهيئات الاجتماعية المختلفة . اما من حيث كون الكتاب انتاجا ادبياط درا عن مي ، فلعله دون ابحاثها النقدية ومقالاتها الوجدانيـة وان يكن فوق ابحاثها الفلسفية واقاصيصها . اذ المعرفة فيه معروضـة عرضا ارتجاليا سريعا ليس فيها الدقة المعهودة في مي ، ولا تناسق الاداء او روعـة الخيال . وقد يكون لسيطرة الجمهور على تفكيرها يد في ذلك . وربما كان للمزايـا الحسية التي تكمن في صوتها واشاراتها ، فعل كبير في اعلاء شأن ادبها الخطـابي ، وفي اجماع السامعين على اكباره .

مكانة مـي في اراء النقـاد

لم "تعدم مي ذاما" يطعن في طريقة تعبيرها ، فقد كان محمد التابعـي ، يسمي كتابتها "الشعر المنثور ، او النثر المشعور" ، وهو الذى اخذ عليها استعراضهـا لمعلوماتها العامة كما ان ابراهيم المازني ، لم يجار غالبية الادباء في تقديرها ، وقـد سئل عن اى من كتبها سينال الخلود ، فتهرب قائلا : " اني اومن بالفناء في الدنيا ، ولا اومن بالخلود لشيء فيها". (٢)

---

(١) زيادة . كلمات واشارات . مطبعة الهلال . مصر ١٩٢٢ المقدمة
(٢) "اخبار اليوم" العدد ٥٤٧ سنة ١٩٥٥ ص١٢

اما حسيب عبد الساتر ، فقد قال متناولا ادبها : " كنا ننتظر ان نرى لها غير العواطف تنثرها عامة مبتذلة ، توقعنا ان تطلع علينا ، بمشاكل في التفكير العالمي تطرقها ، لتبشر بالانسانية الشاملة ، او لتظهر برأى جديد ، بعيد الغور ، فسيح المدى ، وليس بجمل معدودة فيها من الخيال والعاطفة والابتذال ، اكثرمما يفترض في التفكير العميق . " (١)

ولعل عواطف مي ، لم تكن مما يصح ان يرجم بالابتذال ، وقد كانت تعرض للعاطفة الزاخرة بالصلاح ، كما ان تشيرها بالانسانية كان ملحا دائما وان لم يكن مباشرا ، اما ان يكون اثره غير ملموس في الناس ، فامر قلما تنال مي عليه لوما وكان في نظرة عبد الساتر الى الرأى الجديد الذى ينعى عليها التقصير فيه ، شمولا يهدف الى تحميل مي تبعة ما لم تكن تدعيه .

وربما كان المأخذ الذى اقدم عليه ميخائيل نعيمة ، مما يصح اعتباره والاخذ به وهو لوم موجه لما اضاعت مي من وقت في ترجمة قصة الحب الالماني لماكس مولر ، وهي عنده قصة غير جديرة بالعناية لما فيها من نعومة متكلفة . (٢) كما يجد تقصيرا في محاضرتها "غاية الحياة" التي يرى انها صاغتها باسلوب انيق ، وعبارة مصقولة ، بينما الفكرة فيها حائرة تتلمس طريقها . (٣)

غير ان الكثيرين المعوا الى القيمة الايجابية في ادبها ، فقالت سلمى الصائغ : " كثير على مي ، وهي بنت الشرق ، ان تعادل كبار الرجال علما واطلاعا ونبوغا . " (٤)

---

(١) "المكشوف" المجلد الثامن . العدد ٣٣٧ ص٥
(٢) نعيمة . ميخائيل . الغربال . دار المعارف للطباعة والنشر . مصر ١٩٤٦ ص١٦٠
(٣) المصدر نفسه . ص ١٦٠ - ١٦٣
(٤) صائغ . النسمات . ص ١٤١

كما قال احمد حسن الزيات : " فحولة الادب في انوثة العاطفة ، لم نجدها في امرأة بعد باحثة البادية ومي ".(١) وقال صدر الدين شرف الدين : " كانت فتحا في ادبنا الحديث وستظل ركنا بين اركان تطوره وانتقاله . "(٢)

اما اذا كان المقياس الادبي ، لاثر فني ، مزيجا من صدى يترك في النفس تساؤلا حيال ذلك الاثر ، فلعل لكل امرئ شيئا من حق ، يدفعه ليتصدى لما املاه عليه تعايش فكرى ونفسي لاديب اتيحت له دراسته .

ولعل ما اغدق على مي من ثناء ومجاملة ، وما ملئت به الصفحات من تمجيد لشخصها حينا ، ولادبها حينا اخر ، يكاد ياخذ على باحث مبتدئ سير تقديره لمنزلة ادبها اذ ان التحلل من آراء كبار الكتاب من الصعوبة بمكان ، وكذلك نفض اليد عما اوسعت به مي من تبجيل ، ووضع نقاط عامة ، تنحو منحى الموضوعية ، في تقرير بعض نواحي النقص التي لابست ادبها . فاذا ما اخذت هذه الاشياء بعين الاعتبار واضيف اليها ما قد يسومني من جهد في الاغضاء عن شخصية مي الجاذبة ، وتنحيتها الى حين ، عن نفس الفت اليها وارتبطت معها في معايشة معنوية طيلة سنتين ، فاكبرتها اعظم الاكبار . اذا ما اعتبرت هذه الاشياء ، فسأجمل نقاطا نقدية ، مما استطعت ان الملمة من هنات في انتاجها ، اذ ان ما دللت عليه من حسنات ، رافق البحث بصورة مباشرة وغير مباشرة :

أ - ان مي تكلف نفسها ، معاناة الكتابة في اغراض نثرية ، تخرج عن نطاق موهبتها ، فقد تعثرت حين عالجت الاقصوصة والابحاث الفلسفية (٣) ، وحين ترجمت

---

(١) "الرسالة" السنة السادسة العدد ٢٤٠ ص ٢٠٣
(٢) "الاداب" السنة ١٩٥٣ . ايار العدد الخامس ص ٧٧
(٣) اقصوصة "الشمعة تحترق" راجع صوت المرأة مجلد ٥ ع ١٢ ص ٥٤ . محاضرتها "غاية الحياة" قصصها المترجمة : رجوع الموجه ، الحب في العذاب .

بعض القصص فلوانها ماشت مقدرتها ، واقتصرت على المقالة الوجدانية والاجتماعية وعلى النقد لكان الخط البياني في ادبها ، محتفظا بسيره الى الاعلى .

٢ - ان مسايرة مي خطة الاعتدال في آرائها ، استنكافعن الصراحة والوضوح [١] ، فقد كانت تدرك نزعة الغرب في التحرر والانطلاق ، وكانت تشعر بوطأة التقاليد المخيمة لي على الشرق ، الا انها مجاراة للهيئة الاجتماعية التي بالغت في اكتساب رضاها ، تقاعست عن مواجهة الكثير من القضايا الاجتماعية بجرأة واقدام ، مع انه كان لديها معينان الاول كونها امرأة يراعى جانبها والاخر اعتقادها بوجوب الاستعانة بالحضارة الغربية .

٣ - تستعمل مي اسلوبا خطابيا حتى في المواضيع التحليلية القائمة على البحث والتي تتطلب مخاطبة جدلية ، وكثيرا ما تعتمد في الاقناع على التأثير والاستهواء . [٢]

٤ - ان ميا لا توجد حلولا اجتماعية فيما تبحثه من مشاكل ، فقد تعدت دائرة اختصاصها ودرست مشكلة المساواة دراسة تحليلية ، دون ان تلزم نفسها الاتيان بحلول عملية شأن الباحثين الاجتماعيين [٣] ، ولعله كان من الصواب ان تخلص الى النتيجة التي قيدت بها نفسها ، منذ اسمت كتابها " المساواة " الذى يتضمن ايجاد طريقة جديدة يسير الناس على هديها في سعيهم نحو المساواة ، الا ان ميا استنكرت المبادىء الثورية المتطرفة في كتابها ، ولم تضع يدها على السبيل الصحيح للمساواة .

٥ - يبلغ بها الحرص على اللفظ ، الى ان تنتقي من الالفاظ كل مبهج فتان ، حتى لتكرر المعنى الواحد في جمل متباينة ، وقد يصرفها هذا الاسراف في التأنق عن اناة الدرس والتحليل . [٤]

---

(١) " المقتطف " مجلد ٥٥ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ مجلد ٥٦ ص ٥٧

(٢) راجع بين الجزر والمد ص ١٥١ ، ٧١ ، ٣٣ . وراجع كلمات وشارات ص ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠١

(٣) راجع كتابها المساواة . مكتبة الهلال . القاهرة سنة ١٩٢٧

(٤) راجع " ميكلانجلو " الصحائف ص ٣٩ - ٥٠ الصحائف ص ١٣٠

ومهما يكن من امر ما تقدم ، فان نظرة الى الادب النسائي قبل مي ، كافية ليبدو الفرق شاسعا بين انتاج فقير شحيح ، لا يساير حال العالم في الادب والعلم والسياسة ، وبين انتاج غني في تضلعه من العلوم المنسجمة مع الحضارة الحديثة بين الهب يشعر المرء ازاءه ، انه حيال ادب طفل ، يعتمد على ما تعتمد عليه الطفولة من عفوية وارتجال ، وبين ادب ناضج صقلته الثقافة الغزيرة والتفكير العميق . ولعل مير البصري لم يكن غاليا حين قال : " ان ميا تعتبر تقدما للنهضتين النسوية والادبية على السواء . " (١)

ولعل الادب النسائي الحديث ، لا يضن على مي بمنزلة الصدارة تحتلها عن جدارة ، كما ان مسيرها بين ادباء عصر النهضة ، يفسح لها مكانا الى جانب اعلام الادب العربي الحديث .

---

(١) "المعلم الجديد" المجلد السابع . الجزء الثاني ص ١٥٤ .